

أحمد فؤاد نجم

خلاصة الكلام

خلاصة الكلام

هذا كتاب اقتصادي سياسي فني ثقافي رياضي، مكتوب بالفصحى وبالعامية حسب التساهيل.. وشمس الأصل دهببت
خوصي النخيل يا نيل.

فاجومية لا يعجبها العجب، ولا الصيام في شوال ورجب، صباعها مش تحت ضرس حد، والسبت عندها زي الحد ...
تلوش أجعصها جعيص لو خرج عن حدوده، وتآكل المش بدوده، ولا تمدش أيدها لجنس لئيم ...
ما تخافش غير من اثنين: ربنا فوق وشعب مصر المحروسة تحت، وما تحبش إلا اثنين: أي غزال كحيل العين وأي كلام
حليوة وزين.

فاجومية دابت رجليها وحفيت من اللف ما بين التحرير والعنبة وباب الخلق وروكسي والدقي وباب الحديد وعباس العقاد
والموسكي وشارع فؤاد وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا الموحدة، واليورو، والين والدولار ... وسبع سواقي تنعى لم
طفوا لها نار.

عموكو / الفاجومي

أول الكلام

مر الكلام زي الحسام.. يقطع مكان ما يمر
أما المديح سهل ومريح يخدع صحيح ويغر
والكلمة دين من غير أيدين.. بس الوفا ع الحر

قصيدة البتاع

ياللى فتحت البتاع
فتحك على مققول
لأن أصل البتاع
واصل على موصول
فأي شيء في البتاع
الناس تشوف على طول
والناس تموت في البتاع
فبيقى مين مسئول؟

وازاى حتفتح بتاع
في وسط ناس بتقول
بان هذا البتاع
جاب الخراب بالطول
لأن حته بتاع
جاهل غبي مخبول
أمر بفتح البتاع
لأنه كان مسطول
وبعد فتح البتاع
جابوا الهوا المنقول
نكش عشوش البتاع
وهد كل أصول
وفات في غيط البتاع
قام سمم المحصول
وخلا لون البتاع
أصفر حزين مهزول

وساد قانون البتاع
ولا علة ولا معلول
فالقاضي تبع البتاع
فالحق ع المقتول
والجهل زاد في البتاع
لا مقري ولا منقول
والخوف سرح في البتاع
خلا الديابة تصول

يبقى البتاع في البتاع
والناس صايبها ذهول
وان حد قال والبتاع
يقولوله مش معقول
وناس تعيش بالبتاع
وناس تموت بالقول
وناس تنام على البتاع
وناس تنام كشكول

آدى اللى جابه البتاع
جانب الخراب مشمول
لإن حنة بتاع
مخلب لراس الغول
باع البتاع بالبتاع
وعشان يعيش على طول
عين حرس بالبتاع
ويرضه.. مات مقتول

* * *

كلام المصطبة

(١)

قلت للصديقة الأمريكية - أستاذة الجامعة: هل ينوى الرئيس بوش فعلاً أن يوجه ضربات عسكرية انتقامية إلى كل من أفغانستان والعراق واليمن ولبنان، وما قد يستجد حسب مزاج الإدارة الأمريكية؟! قالت: هذا ما يبدو حتى الآن.

قلت: وما رأي الشعب الأمريكي في هذا؟

قالت: أنت تعرف أن الشعب الأمريكي واقع تمامًا تحت تأثير الإعلام الذي تسيطر عليه الدوائر الصهيونية في كل الولايات الأمريكية المتحدة وعلى وجه الخصوص واشنطن ونيويورك.

قلت: ولكن هذا الإعلام الأمريكي الصهيوني لا يعرف حتى الآن ما حدث بالضبط يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١، وبالتالي فهو لم يقدم أي دليل على تورط أي فرد أو جماعة أو دولة فيما حدث في اليوم المذكور. هل توافقيني على هذا؟ قالت: أو أفكك مائة بالمائة.

ثم ضحكت وأردفت: خصوصاً بعد الاتهامات المضحكة التي وجهتها أجهزة الأمن الأمريكية إلى أشخاص أتضح أنهم فارقوا الحياة منذ سنوات!

قلت: كما يحدث عندنا في قضايا أمن الدولة

وأضافت: ولا تنسى انتخابات مجلس الشعب.

قلت: اسمه "مجلس الأنس"!!!

تتهدت الصديقة الأمريكية - أستاذة الجامعة - وهي تقول: مأساة.

قلت: وأين المثقف الأمريكي؟

قلت: حول ماذا؟

قالت: لا أدري.. ومن قال لا أدري فقد أفتى

قلت: واضح من التصريحات والتصرفات التي تصدر عن الإدارة الأمريكية أنها توجه الاتهام صراحةً للجماعات الإسلامية والدول التي تؤويها ومن هنا فأنا أتساءل: لماذا استنتت الإدارة الأمريكية دولة مثل انجلترا وهي من أكبر الدول إيواءاً لهذه الجماعات؟

قلت: هذا سؤال مهم وذكي ولكني لا أملك الإجابة عليه

قلت: أنا أملك هذه الإجابة

قالت: أجبني

قلت: هذه ليست تجريدة بوليسية للبحث عن الفاعل، ولكنها حرب صليبية ضد الإسلام ومن يقول بغير هذا فعليه تقديم الدليل.

قلت: والنتيجة؟

قلت: أنهار من الدم سوف تغرق العالم من أقصاه إلى أقصاه ولن ينجو منها أحد.. ولو كان الرئيس دبلبو بوش شخصياً.

(٢)

يبود، والعلم عند علام الغيوب، أن الإدانة والشجب قد أصبحا هما الخيار الاستراتيجي الوحيد أمام الأمة العربية، وأمجاد يا عرب أمجاد.

ففي كل وسائل الإعلام العربية وأنا أتتبع تفاصيل العملية الاستشهادية لعروس نابلس طالبة جامعة النجاح وأقترح أن نسميها "فلسطين". أقول.. وأنا أتتبع تفاصيل هذه العملية من خلال الصحافة والتلفزيون والإذاعة في كل بلاد العرب المستباحة، كنت ألتقي بالشجب والإدانة للعروس الشهيدة!

فالوزير أحمد ماهر الذي كان في عمان يجتمع هناك بالمسؤولين سارع بالإدانة وبادر بالشجب قبل أن يتأكد الخبر، مخافة أن يسبقه في شجبه شاحب.

وفي أي بلد عربي من المحيط إلى الخليج ردد المسؤولون صيحتهم المدوية - نحن نشجب - نحن ندين - حتى الرئيس المحاصر ياسر "أفندي" عرفات شجب وأدان.. ونحن صامتون!

وفي واشنطن المحروسة، هاج أفراد الإدارة الأمريكية وماجوا ووجهوا للعرب أسفل العبارات وأحط النعوت.. حتى مبعوث العناية الإلهية - الذي تنتظره القيادة الفلسطينية كما ينتظر العطشان الماء والمريض الشفاء وتتوسل يوميًا للرئيس دويل بوش أن يسارع بإرساله للمنطقة، حتى تتوقف حمامات الدم في فلسطين المحتلة ويخضر غصن الزيتون وترفرف عليه حمامات السلام - حتى هذا المبعوث المدعو الجنرال أنتوني زيني فتح جاعورته وقذف منها أبدأ الكلام ووصف الشعب الفلسطيني بالإرهابيين ووصف القيادات الفلسطينية بالماфия ووصف الرئيس الرهين بزعيم المافيا ووصف السفاح المجنون ارييل شارون بالأب الطيب!!

كل هذا النباح الكريه المنكر كان في وداع عروس نابلس التي أقترح أن نسميها "فلسطين".
ولیکن صمت الشعب العربي من المحيط للخليج هو أنشودة الوداع للعروس الجميلة..
ولعنة الله عليك... يا أمة شجبت.

(٣)

كان الإمام الأعظم سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، له عبارة طالما قذف بها في وجوه المنافقين والمترددين من أصحابه ضمن خطبه البليغة العصماء التي حفظها لنا التاريخ مشكورًا: أذلّ الحرص أعناق الرجال!!
ولقد ظلت - على عشقي لكلمات أمير المؤمنين - أمرًا على هذه العبارة مرور الكرام دون أن أنفذ إلى عمق المعني الذي أراد الإمام أن يلخصه فيها، حتى قرأت هذه الواقعة:

في المرض الأخير لسيدنا عبد الله بن مسعود الذي كان من المغضوب عليهم في عهد الخليفة عثمان بن عفان - غفر الله له - زاره الخليفة في فراش المرض، ولما دخل عليه لم يستطع ابن مسعود القيام من رقدته للقاء عثمان فمنعه الخليفة من الاعتدال وجلس عند رأسه وسأله:

ما تشكي يا عبد الله؟

قال ابن مسعود: ذنوبي يا أمير المؤمنين.

فصمت عثمان برهة متحيرًا ثم سأله: وما تشتهي يا عبد الله؟

قال: رحمة ربي.

فازداد عثمان حيرةً على حيرته وسأله: ألا ندعو لك طبيبًا؟

فقال عبد الله على الفور: الطبيب أمرضني يا أمير المؤمنين؟

قال عثمان: ألا نأمر لك بشيء؟

فأجاب رضي الله عنه: وما حاجتي اليوم بما منعه عني بالأمس؟

قال عثمان: تتركه لعيالك.

قال: لا عليك من عيالي يا أمير المؤمنين فقد علمتهم شيئًا إذا حفظوه لم يفتقروا لك ولا لسواك.

قال: وما هو يا عبد الله؟

قال "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

من قرأ كل يوم وليلة سورة الواقعة لم يفتقر أبدًا - صدق رسول الله -

وهنا أدرك عثمان أنه أمام نوع من الرجال لا يرهبه سيف المعز ولا يغريه ذهبه.. هؤلاء الذين امتلكوا أنفسهم فامتلكوا نعمة الاستغناء عن الدنيا والناس - رضي الله عنهم ورضوا عنه.

هنا فقط أدركت مغزى عبارة أمير المؤمنين: أذل الحرص أعناق الرجال. وها أنذا أقول بملء الفهم: لبيك يا أمير المؤمنين.. لبيك يا ربيب الرسول وصهره.. لبيك يا أبا الحسن يا أسد الله.. يا باب مدينة العلم.. لبيك وسعديك.. وهل يرضيك الآن حال المسلمين.

(٤)

كان فيه واحد مواطن - ومن سوء بخته إنني شفته بعيني أيام ما كان جاي من بلدهم حفيان وعدمان وخالي شغل وحالته تصعب ع الكافر لدرجة إنني فكرت أسأله: أنت إيه يا بني اللي جابك من بلدكوا هنا.. وجاي تعمل إيه في هذه المدينة المتوحشة؟ ولقد بلغ اليأس بهذا الواحد المواطن أنه رمى بلاله على مؤلف فوازير في قناة الـ"إيه. آر. تي"، وادعى أنه صاحب الفكرة ويا إما يراضوه بقرشين يعيد بيهم.. يا إما حيعمل لهم نوع من القلق يعطل المراكب السائرة، عملاً بمنهج المرحوم شمشون الجبار "على وعلى أعدائي يارب". ومن أجل تدعيم موقفه اتصل بي تليفونياً وقال لي بالحرف الواحد: تحب تعيد معايها في المنجحة والعلالي؟

قلت له: وانت إيه - الله لا يقدر - اللي حيوصلك للمنجحة والعلالي؟

قال لي: العبقرية يا أبو النجوم.. أنا عندي فكرة فوازير واخذ عليها موافقة من الـ"إيه. آر. تي"، نقعد أنا وأنت نشوطها في ظرف ساعتين ثلاثة وبعدها - أبجني يا حبيب العمر - والدنيا تحلو والمراكب تسير.

قلت: طيب إنت كاتب الفكرة دي في ورق؟

قال لي: ورق مين يا عم الحاج؟

وفوجئت بأنه بيشرح لي نفس فكرة الفوازير اللي بعتها لي الصديق عمار الشريعي لكي أكتب لها الاستعراضات والتتير والنهاية.

قلت له بمنتهي الدهشة: بس الفكرة دي بالضبط تحولت إلى فوازير جاري تنفيذها باسم مؤلف آخر وأنا الآن أكتب لها الاستعراضات.

قال لي: ولو.. أنا اللي كاتبها يعني أنا اللي كاتبها.

قلت له: وأنا مطلوب مني أيه دلوقتي؟

قال لي: أبداً.. نشيل الاستعراضات من هنا نحطها هنا

قلت له: هنا فين؟ إنت عندك ورق مكتوب؟

قال لي: شوف برضه حترجع نقولي ورق! آمال أنا جاي لك ليه؟ يا عم الحاج حول الفكرة اللي أنا قلتها لك إلى فوازير وحط لها الاستعراضات وأنا ح أوديتها للمخرج اللي قاعد مستني.. وتوتة توتة فرغت الحدوتة.

قلت له: يا اااااه! ده إنت حكاية - وأنا اللي كنت فاكرك حتغرق في شبر ميه وترجع بلدكو كعابي.. ده إذا قدرت ترجع من أساسه.

قال لي: عيب يابو النجوم.

قلت له: فعلاً عيب ولو أن العيب في البلد دي بقى.. وجهة نظر.

(٥)

وروح يا زمان وتعال يا زمان.. واختفى الواحد المواطن من المشهد شيئاً فشيئاً كما يقول الإخوة النحاة.

والعجيب في الأمر أن اختفائه لم يحظ مني بأي اهتمام، كظهوره المفاجئ في حياتي تماماً.. يعني كما قال صديقي الفنان لطفي لبيب حين سألته عن رأيه في إحدى الفنانات -بالعافية- التي شاركته بطول إحدى مسرحيات القطاع العام.

قلت له: هي فلانة الفلانية مشتركة معاكم في المسرحية؟

قال: وما تشترکش ليه؟ اشمعني هي؟

قلت له: وانت رأيك إنها بتعرف تمثّل؟

قال لي: وإيه قيمة رأيي؟ هو أنا كان حد خد رأيي؟

قلت له: وانت عايزهم ياخدوا رأيك في إيه؟

قال لي: في أي حاجة بتحصل في البلد دي.

قلت له: إيه يا لطفي...!! أنت ليه عايز تلبسني في حيلة؟ أنا بأسألك عن فلانة الفلانية؟

قال: طبعاً إنت عارف إنها اتطلقت من جوزها الثالث ودلوقتي ماشية مع...

وصرخت في وجهه: بس.. كفاية.. حرام عليك يا لطفي.. أنا باقولك

قال لي: بس بس... فهمت فهمت إنت بتسأل عن دورها في المسرحية.

قلت له: كده بالضبط.

قال لي: هي أساساً مالهاش دور في المسرحية.. أو ما كانش لها دور في المسرحية.

قلت له: يا لطفي بطل افترا على خلق الله.. ازاي ما كانش لها دور في المسرحية وازاي اشتكرت فيها ومين اللي حاطط

اسمها على الأفيش بالبنت العريض؟!

قال لي: أهو انت كده بقي اللي عايز تدخلني في السياسة.. ما هو لو صبر القاتل على المقتول كان مات لوحده.. ما انت

لو سبتتي أكمل لك هي ماشية مع مين كنت هرشت الموضوع من طقطق لسلامو عليكم.

قلت له: يا لطفي أنا مش عايز أهرش أي موضوع من أي نوع. أنا عايز أعرف رأيك في أداء فلانة على خشبة المسرح؟

قال لي: نسمة.. نخش وتخرج ولا حد يحس بيها.. نسمة.

قلت له: شكراً هو ده المطلوب.

(٦)

لم يمض على نبوءتي كثيراً حتى فوجئت بالواحد المواطن التعبان الهفتان العدمان يطل على العالم من شاشة تليفزيون جمهورية مصر العربية.

وحسك عينك يا عزيزي القارئ يا خويا إنك تتصور الأستاذ تعبان هفتان طالع في دور سنيد أو كماله عدد زي اللي

بنشوفهم من خلال برامج النصب والجوايز اللي هجمت على مصر المحروسة زي الجراد الأصفر والعياذ بالله.. كلا وألف

كلا.. دا طالع من خلال قناة رئيسية وبيقدم برنامج ضخم بيستضيف من خلاله أبرز أهل السياسة والاقتصاد والثقافة ويناقشهم

في أعقد وأهم مشاكل الوطن!!!

الأول فضلت أحقق وأدقق وأمقق في خلقته؟ لقيته هو بشحمه ولحمه.

قلت في عقل بالي: يا واد أنت بتحلم.

قرصت نفس جامد! حسيت بالقرصة واتأكدت إن أنا صاحي. فضلت أفرك في عيني يمكن برضه.. هو هو... بيني وبينك

يا عزيزي القارئ يا خويا أنا لم أندش من قدرته على الوصول إلى مخ الإعلام الرائد بعد ما تأكدت من قدراته الاستثنائية في

موضوع فوايز ال "إيه. آر. تي". إنما اللي أصابني بالدهشة والازبھال هو: مين اللي أولاً صاحب فكرة البرنامج اللي

بيقدمه؟ ومين اللي منحه الفرصة للظهور في هذه المساحة العريضة من فترة البث الرئيسية ومن خلال قناة رئيسية.. برضك؟!

وفضلت أضرب أخماس في أسداس في محاولة مستميتة لحل لغز هذا الكائن الأسطوري وطرحت على نفسي مجموعة من الأسئلة:

يكونش اتكعيل في واحدة من إياهم فاتوسطت له؟

يكونش اشتغل شماسرجي عند واحد من رجال الأعمال؟

طب ما يمكن الواد ده في الأساس موساد إسرائيلي ومتنكر في هيئة مواطن مصري؟

بيني وبينك دماغي كان حيزرب.. وأخيراً شفته بالصدفة من خلال البرنامج المشبوه يناقش الانتفاضة الفلسطينية من موقع المسؤولية!! وببيدى تحفظاته -أي والله العظيم تحفظاته- على العمليات الاستشهادية لأطفال فلسطين الكبار!!.. وكان رأيه أنّ الاستشهاد ما يكونش عمّال على بطّال وقال بالحرف الواحد:

- ما أنا كمان ما أقدرش أدي شيك على بياض لكل من هب ودب يروح يفجر نفسه ويعطّل لنا عملية السلام!

عرفتم السفاح شارون جايب كل الغطسة اللي بيعاملنا بيها منين؟

(٧)

واتفرج يا سلام على عالم القروء.. والليل الليل يا ميمون.. والفرجة مجاناً.. وفتح عينك تاكل ملين.. ولسه اللي يعيش ياما يشوف واللي يمشي يشوف أكثر!

قال الفيلسوف الشعبي اللي كان بيكمل عشاء نوم:

زمان أيام عزبة القروء، كان فيه مدارس لتعليم القرد كل الألعاب اللي تبسط الزباين وتجلب "الأبيج".. ورزق الهبل ع المجانين.. وكانوا القرداتية القدام بيطبقوا نظرية -اضرب المربوط يخاف السايب- في تعليم السادة القروء. وكانت أدوات المعلم القرداتي عبارة عن معزة وعيل وسكينة حامية. يدخل بيهم الفصل.. وقيام.. تعظيم سلام.. جلوس، وتبدأ الحصة هكذا: قوم يا واد يا بلبل فرجنا على رقصة كذا.

فيقوم الطفل بأداء الرقصة. بإتقان وحين ينتهي يحتضنه المعلم ويمنحه قطعة شيكولاته. ثم يسحب المعلم المعزة من الحبل المربوط في رقبتها ويطلب منها أداء نفس الرقصة. وبطبيعة الحال لا تستجيب المعزة فيسحب المعلم السكينة ويذبحها على مسمع ومرأى من التلاميذ -القروء- ثم يطلب من الطفل أداء لعبة أخرى، فيقوم الطفل -المدرّب- بأداء ما طلبه الأستاذ بكل براعة وإتقان فيتكرر الاحتضان وقطعة الشيكولاته. ثم ينظر المعلم للدارسين من القروء ويختار منهم واحدا يطلب منه أداء ما رآه. والقرد بطبيعته حيوان مقلد.. فيقوم القرد بأداء ما طلب منه ببراعة وربما يضيف من عنده ابتغاء مرضاة السيد المعلم الذي يمسح على رأس القرد الشاطر ويعطيه الشيكولاته/ المكافأة. ويتجه إلى غيره من الدارسين ويطلب منه تنفيذ لعبة أخرى قد يكون الطفل قد أداها أمام الطلبة - القروء- وهكذا يتعلم قطع القروء ازاى يمشي على العجين ما يلخبطوش.

والليل الليل يا ميمون.. وينبسطوا الزباين ويطلعوا الأبيج. ويقال والعهد على الراوي أن مؤخرة القرد حمراء بسبب عدم قدرته على التحكم في المحبس الخلفي من شدة الخوف من مشهد المعزة الذبيحة الذي يظل يلازمه مدى الحياة. وهكذا فعل المعلم بوش القرداتي، فرقص الجميع وعملوا نوم العازب وضربوا شقيلطات.. وبعضهم عمل ألعاب ما حدش طلبها منه خوفاً على أرصده المهرّبة أو خوفاً منه على مقعده حتى لا ينتزع منه ويتحول إلى مسخرة بعد العز والأبهة.. وهو أيضاً متأكد من أن المنافقين الذين حولوه إلى نصف إله هم الذين سيفقدون موكب الفضيحة.

(٨)

في الانتخابات البرلمانية المصرية التي أشرفت عليها حكومة محايدة برئاسة "حسين سري باشا" سنة ١٩٥٠، ونزولاً على رغبة الشعب جاء حزب الوفد برئاسة "مصطفى النحاس باشا" إلى سدة الحكم بناءً على حصوله على أغلبية كاسحة وأسطورية. فقد كان عدد مقاعد مجلس النواب ٣١٩ مقعداً تتنافس على الحصول عليها قرابة عشرة أحزاب سياسية معلنة، فاز الوفود منها بـ ٢٩١ مقعداً وترك الثمانية والعشرين مقعداً الباقية للمستقلين وباقي الأحزاب!

وفي رأيي أن الصحافة الحرة التي كانت آنذاك هي العامل الرئيسي أو أحد العوامل الرئيسية التي جاءت بالوفد إلى الحكم على هذه الصورة المدهشة وعلى غير هوي من الحلف الشيطاني الذي يضم الملك والإقطاع والإنجليز وكان على حكومة الشعب. كما كانوا يسمونها آنذاك -أن تدخل مباشرة في معركة حياة أو موت ضد الفساد والاستعمار. وكانت صعوبة المواجهة في كون القصر الحاكم هو المصدر الرئيسي للفساد، وتحولت تجاوزات أفراد الأسرة الحاكمة إلى حوادث ونكت يتداولها الشارع المصري بصوتٍ مسموع، وفقد الملك مصداقيته ومبررات وجوده وأصبح يشكل عبئاً على عرش مصر الذي تجري من تحته الأنهار كما وصفه القرآن الكريم على لسان فرعون موسى عليه السلام.

وتساقبت الصحافة الوطنية في نقل نبض الشارع المصري إلى صدر صفحاتها الرئيسية وبدأنا نقرأ "راعاياك يا مولاي" تحت صورة لمجموعة من المواطنين يأكلون من أكوام الزبالة - كما يحدث الآن في مساكن الزلزال بالمقطم- وأخذت الشعارات الشعبية تتصاعد على صفحات الصحافة الوطنية -آنذاك- حتى وصلت إلى حد السباب والقذف العلني في شخص وأفراد أسرة الجالس على عرش مصر المحروسة.

وكأي قصر من قصور الحكام في شتى مراحل التاريخ الإنساني كان هناك المتسلقون الذين لا عمل لهم إلا تخويف السلطان من الشعب بنقل واختلاق الأخبار المدسوسة والنكت التي يتداولها الشارع في نقد السلطان وأسرته وبطانته! وفي منتصف أحد الأيام عاد النحاس باشا إلى منزله لتناول الغداء فأبلغوه أن القصر ينتظر منه اتصالاً هاتفياً فقام الرجل بالاتصال فوراً.

وقال له الملك: أترك غداءك وتعال انتغدى معي للأهمية القصوى. فتوجه رئيس مجلس الوزراء إلى قصر عابدين حيث تناول غداءه مع الملك، وبعد الغداء كان رئيس الديوان الملكي يقدم له وجبة أخرى من الصحافة التي تهجم جلالته بمنتهى القسوة فأخذ يتصفحها وهو بادي التوتر ولكنه وهو الزعيم الشعبي والقاضي السابق فطن إلى اللعبة القذرة فانتفض واقفاً وهو يصرخ: مش ممكن! دا شيء زايد عن الحد.. أنا ح اطريق الدنيا على دماغهم.. أنا ح القنهم درس في الأدب. واتسعت الابتسامة الصفراء على وجه صاحب الجلالة وهو يسأله:

- حتعمل معاهم إيه؟

وأجاب القاضي العادل والزعيم العظيم بلا تردد:

- ح أبلغ النائب العام!

وابتلع جلالته ابتسامته الصفراء!

(٩)

أشهد بأن التليفزيون المصري (المعوق) دائماً ما يأخذ بتلابيبى ويثبتني أمامه طوال يوم السادس من أكتوبر من كل عام، والحق ما شهدت به الأعداء.

كان العنصر الأساسي الذي سحرني مشدوهاً وأعانني على احتمال رؤية هذا الصندوق اللعين طوال هذا الوقت هو الأفلام التسجيلية لبعض لحظات ملحمة العبور العظيم -إنجاز العرب الأكبر- في التاريخ المعاصر. (الله أكبر الله أكبر)

صعد هذا النداء الخالد إلى عنان السماء، بينما كان أبناء مصر البواسل يقتحمون خط بارليف كالإعصار ليقولوا للعالم وللتاريخ أن ما حدث في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ لم يكن هزيمة لنا ولا نصراً لأعدائنا.. فقط إنها الخيانة والغفلة من قادة تلك المرحلة المظلمة من التاريخ الحديث لمصر المحروسة.. وأنها غير قابلة للتكرار.

وعلى الجبهة الداخلية اتخذت الفرحة القومية عدة أشكال.. فمثلاً تؤكد وثائق وزارة الداخلية عدم وقوع أي جريمة طوال فترة الحرب في أنحاء مصر من أقصاها إلى أقصاها بما في ذلك المخالفات التموينية!! وتستقبل مكاتب السجل المدني مجموعة جديدة من الأسماء التي أطلقها المصريون على مواليدهم في تلك الفترة..

على سبيل المثال أطلق مواطن مصري بسيط في باب الشعرية على مولوده اسم "سام ٦" نسبة إلى الصاروخ الروسي الذي تحول في أيدي أبنائنا إلى شبح مميت بالنسبة للطائرات والدبابات الصهيونية المتطورة، حيث حولها إلى ركام وانقاض على رمال سيناء المقدسة.

وفي المنوفية أطلقت فلاحه مصرية على مولودتها اسم "ميح" نسبة إلى الطائرة الروسية المقاتلة التي كسر بها نسور مصر ذراع إسرائيل الطويلة وأحالوا سماءها إلى جحيم يمطر الموت واللهب.

وأنا أطلقت على ابنتي الجميلة الطيبة المولودة في صبيحة يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٧٣ اسم "نورة الانتصار" - حفظها الله ورعاها- هي وحيلها الذي لم يع أيام المجد والنصر.

كل التحية لأبنائنا صانعي أكتوبر المجيد.. وسلام على شهدائنا الأبرار الذين لم يبخلوا بالروح عندما دعا داعي الجهاد.. والمجد والخلود لمصرنا المحروسة بأفئدة المصريين.

(١٠)

- هل تحكم أمريكا بقانون الطوارئ الساري المفعول منذ عشرين عامًا في مصر المحروسة؟
- الآن أستطيع الآن أوافقك على هذا.
- ولماذا الآن بالذات؟!
- لأن ما يحدث الآن ليس له تفسير إلا في ظل قانون الطوارئ.
- وهل رأيت الفتى بلير فارس بني قحطان؟
- نعم رأيت ملاء السمع والبصر في التلفزيون المصري المحترم.
- ولكن.. لماذا رفضوا استقباله في المملكة العربية السعودية؟
- ولماذا استقبلناه هنا في مصر وأقمنا له الدنيا ولم نقعدها حتى كتابة هذه السطور؟
- والله كل واحد وظروفه بقي..
- واحنا بقي ظروفنا إيه بالصلاة على حضرة النبي؟
- ودًا بمناسبة إية إن شاء الله؟
- بمناسبة سبعة وعشرين رجب أو ثمانية وعشرين أكتوبر أو تسعة وعشرين برمودة.. يعني أي حاجة وما تبقاش لروح و غنت لأن الظرف مش مستحمل..
- يعني أغني دولة في العالم مجرجرة وراها امبراطورية سابقة ورايحة تضرب أفقر دولة في التاريخ والعالم كله فرحان ومزأطط وبيقول ربنا ينصر أمريكا واحنا مع أمريكا! ولسه بتقول لي الظرف مش مستحمل يا أخي عنه ما استحمل.
- أفهم من كده إنك مش خايف؟
- ح أخاف على إيه يا حسرة؟ اللي بيحجب لي المشاكل الله يقطعه.. واللي يعرف أبويا يروح يقول له.
- كده تحتليني أقول عليك إنك مع الإرهاب.
- لو كنت مع الإرهاب يا فالح كان عجبي اللي بيحصل في العراق وفلسطين المحتلة وأفغانستان.
- وهو اللي حصل في نيويورك وواشنطن يوم ١١ سبتمبر مش إرهاب؟
- إرهاب ونص.. لكن مين اللي عامله؟
- طبعًا بن لادن.
- عنك دليل؟
- مش الأمريكان بيقولوا كده؟
- وهو كلام الأمريكان ده تنزيل من عزيز عليم؟

- استغفر الله.. طبعًا لا.
- آمال إنت ليه صدقتهم؟
- بصراحة بصراحة.. أنا خايف ومش عايز مشاكل.
- آنست يا محترم.

(١١)

والآن.. ما رأي السادة ملوك ورؤساء الدول الإسلامية والعربية؟
 لم يعد يمضي يوم دون أن تعترف المؤسسة العسكرية الأمريكية بأن سلاح الطيران الأمريكي قد ضرب بطريق الخطأ مواقع مدنية.. تشتمل دائمًا على المستشفيات بوجه خاص! ودون كلمة اعتذار!!
 ولم يمضي يوم دون سقوط عشرات المدنيين في فلسطين المحتلة برصاص جنود الاحتلال وقذائف المدفعية والدبابات.. وكلما سقطت دفعة من الشهداء الأبرار يجدد السفاح المجنون أرييل شارون شروطه المجحفة ويضيف إليها شروطًا مجحفة أخرى.
 ثم يخرج علينا أكثر رؤساء الولايات المتحدة غباء وأكثرهم عنجهية بتصريحات أقل ما توصف به أنها متناهية في البلطجة.
 ولسنا ندري ماذا جرى بينه وبين الصهيوني بيريز في الاجتماع المغلق بينهما في واشنطن حتى يخرج علينا بتصريحاته هذه التي يطالب فيها ياسر عرفات بتسليم كل من يروّع إسرائيل للسلطات الصهيونية بقيادة السفاح شارون!!
 هل بعد هذا جنون؟
 ثم أين هو الإرهاب الذي تضربه أمريكا في أفغانستان؟ وأين أسامة بن لادن؟
 وإذا لم تعثر أمريكا وأذنابها - وهذا هو الأغلب - فإلى متى تستمر حرب الإبادة هذه ضد المسلمين والمسيحيين والفقراء في فلسطين وأفغانستان؟
 وما هو موقف رجال الدين مسلمين ومسيحيين من هذا الذي يجري في ظل العولمة وسيادة وتسلط أمريكا منفردة على مقدرات العالم؟
 وما هو الموقف من المجازر الوحشية التي ترتكبها حكومة الصين ضد المسلمين هناك؟
 لقد تكشفت الأمور وسقطت ورقة التوت عن عورة هذا العالم المُدان من قمة رأسه إلى أخمص قدمه. هذا العالم المتآمر على الفقراء والمؤمنين ليس بالدين الإسلامي ولا المسيحي فقط، ولكن بأي فكرة تحمل الخير والحب لهذا العالم الذي مزقه سعار رأس المال وجشع تجار السلاح.
 والآن لم يعد السكوت ممكنًا.. لأن السيل كما يقولون قد بلغ الزبى، والانفجار الكوني قادم لا محالة..
 وإذا كان الملوك والرؤساء العرب والمسلمون "حيقضوها بتصريحات" فسيكونون الوقود الأول للحريق.
 ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

(١٢)

لطالما تعرض الإسلام الحنيف لعمليات التحريف والتشويه الدنيئة والمعروفة باسم الإسرائيليات.. نسبة إلى أحبار بني إسرائيل الذين يحققون على الإسلام الذي كشف زيفهم وفضح خستهم كأعداء الإسلام والمسيحية أيضًا.
 بسم الله الرحمن الرحيم "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ".. إلى آخر الآية الكريمة من سورة المائدة.
 ومنذ عصر أمير المؤمنين السلطان الأعظم وخاقان البرين والبحرين سليم الأول العثماني، لم يسلم الإسلام من العبث التركي المفضوح الذي لا يقل دناءة عن عبث بني إسرائيل!!

وليس صدفة أن ترتبط تركيا المسلمة بحلف غير مقدس من الكيان العنصري الصهيوني ضد جميع الدول الإسلامية والعربية وتشجيعه على تحويل القدس -مدينة السماء- إلى كيبوتز صهيوني تمارس فيه الدعارة والفسق تشييطاً للحركة السياحية! ولعل أصدق تجسيد للفهم التركي للإسلام هو النكتة المصرية القديمة التي تقول:

سأل الخادم المسلم سيده الباش أغا التركي:

- ممكن يا باش أغا غير المسلمين يدخلوا الجنة!

- طبعاً مش ممكن يا خرسيس.

فسأله:

- طيب ممكن يا باش أغا المسلمين يدخلوا الجنة؟

فقال الباش أغا بمنتهى الثقة:

- ممكن مسلمين فقراء فقط أدخل جنات.

فقال الخادم:

- واشمعي المسلمين الفقراء فقط يا باش أغا؟

فأجاب الباش أغا:

- يا حمار يا خرسيس، مين غير مسلمين فقراء أكس جنات أمسح جنات أفرش جنات في انتظار قدوم حظرتنا؟ وأخيراً وليس آخراً.. واستمراراً لمسلسل الهزل التركي صدرت فتوى رمضانية شديدة الغرابة تجيز شرب الخمر من بعد الإفطار إلى ما قبل السحور! كما تجيز رفع الأذان بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية وبكل اللغات الحية غير اللغة العربية.. بشرط أن يترجم ترجمة أمينة. وحرمت الفتوى العجيبة أكل البصل والثوم قبل صلاة التراويح، كما حرمت الذهاب إلى المسجد بملابس قديمة أو غير نظيفة.. لأن الصلاة في هذه الحالة تصبح لاغية! والحمد لله إن السلطان سليم الأول مات من زمان.. وإلا كان حول هذه الفتوى إلى فرمان همايوني يسري على المسلمين في كل بقاع الأرض.. ماذا وإلا.

وكل عام وأنتم بخير

(١٣)

يا اااااااااا!!

أخيراً خرج شاعر العامية المصرية الدكتور محمود عبد الظاهر عن بروده وهذوئه القاتل وانفعل بالأحداث، بعد أن استوعب ما يجري على أرض فلسطين المحتلة. فكتب هجاء مستحقاً في السفاح القذر أربيل شارون قاتل الزهور والأطفال.. الذي حدث بعد ذلك أن الفنان محمد الحلو قرأ الهجاء فأعجبه فقام بتلحينه وقدمه إلى جهاز الرقابة على المصنفات، فرفضت النص بكل إباء وشمم حرصاً منها على سلامة الذوق العام! تصوروا؟

وكتبت الرقابة على المصنفات حيثيات الرفض فجاءت مضحكة كما هي العادة، وكما هو متوقع من هذا الجهاز العجيب الذي ما زال قائماً مع قانون الطوارئ متحدثاً كل الأصوات الوطنية التي بحت من الصراخ والنداء بحرية الإبداع المطلقة في مصر المحروسة إذا كنا بالفعل نريد للحاق بركب الحضارة الإنسانية، بعد ما تخلفنا عنه كثيراً بفعل الخوف من الرقابة على حرية النفس التي فرضها علينا نظام العسكر المشولي سيئ الذكر والسمعة.

ولكن غير المتوقع بالفعل هو هذا المقال القمئ الذي لا يحمل توقيعاً والمنشور بالعدد رقم ٧٩٠ من مجلة تصدر بالقاهرة بعنوان "السينما والناس".. حيث يستهل الكاتب الشبح مقالته بعبارته تقول: "ونحن مع الرقابة!"

لكن من نحن؟ هذا ما لم يجرؤ كاتب المقال على توضيحه. ثم يتساءل بأستذة: هل يصبح محمد الحلو شعبان عبد الرحيم آخر؟؟ ثم يرتكب كاتب المقال المضحك خطيئة عمره حين يتصدى للتطير والمقارنة بين الأغنية والمونولوج، فتكتشف أنه - اللهم لا حسد - يتمتع بقدر غير مسبوق من الجهل والسطحية.

وأنا أشك في أن كاتب هذا الهراء واحد من اثنين: فإما أن يكون هو الرقيب ذات نفسه.. وإما أن يكون أرزقيًا مأجورًا.. قبض فكتب!

وعلى أي حال، وأيا كان كاتب هذا الكلام الفارغ فإن مجرد نشره يؤكد حقيقة مريرة تطالنا كل صباح مع باعة اللبن وعناوين الصحافة التي تتحدث عن المذابح التي يرتكبها الأمريكان والصهاينة ضد فقراء المسلمين في فلسطين وأفغانستان.

هذه الحقيقة المريرة هي أن الخيانة أصبحت وجهة نظر!

بقيت كلمة أوجهها بحب إلى إدارة تحرير مجلة السينما والناس: لو ألزمتكم كل من يكتب عنكم بالتوقيع على ما يكتب، فلا أعتقد أن مثل هذا المقال -المؤامرة- كان يمكن نشره.

(١٤)

في كتيب متناهي الصغر أعدته الصديق الجميل جلال الجميحي وأصدرته الثقافة الجماهيرية تحت عنوان -قراءة في دفتر الوطن- قرأت شكوى الفلاح الفصيح في عهد الملك نيكاو - رع إلى رينسى كبير الأمناء.. ويا سبحان الله.

قال جدنا المظلوم العظيم:

"يا كبير الأمناء يا شريفي.. إنك أكبر العظماء وأغنى الأغنياء إن للعظماء فيك عظيمًا أعظم وللأغنياء فيك غنيًا أغنى.. إنك دفة السماء وسارى الأرض وحبل الميزان. فيا أيتها الدفة لا تتحرفي.. ويا أيها الساري استقم.. ويا أيها الميزان لا تمل. هل أبحتم لشريف أن يسلب رجلًا ليس له ولي؟ وينهب رجلًا ليس معه أحد؟ إن الموت يدرك الغني ومن في كنفه على السواء. فهل أنت حي خالد؟ أليس من القبح أن تميل الموازين وتختل المعايير؟ وأن ينقلب العادل القويم خبيثًا؟ انظر: العدالة طريحة على الأرض بعد أن طردت من مقامها العالي! فكبار الموظفين يأتون السيئات ويحيد القوم عن الطريق السوي.. ويسرق القضية.. ثم ماذا.

إن الذي ينبغي أن يأخذ المسيء قد جانب الطريق السوي! والذي ينبغي أن يهب الأرواح قد بات لا أنفاس له في الأرض! والذي ينبغي أن يقسم بالعدل قد أمسى سارقًا! والذي ينبغي أن يقضي الحاجات قد أنزل الحاجات بالناس حتى عم العوز المدنية!! إنك تملك أرضًا في القرى.. ولك أملاك وبيوت.. ولك زاد في مخازن الزاد.. ويعطيك كبار الموظفين فتأخذ! فلا يجوز أن تكون لصًا. إنك كمدينة لا حاكم لها.. وجماعة لا سيد لها.. وسفينة لا رئيس فيها.. وفرقة لا قائد لها. إنك كحامي المدينة الذي يسرق.. وأنت الحاكم الذي ينهب.. وأمير سلط على عصابات الإجرام فأمسى مثلاً أعلى لهذه العصابات.

يا كبير الأمناء يا شريفي - إن السنة الناس موازينهم فلا تكن بطيئًا في العدل.. ولا تتحيز.. ولا تطع قلبك.. ولا تدر وجهك عن شخص تعرفه. ولا تتهر من أذاك مستحيرًا".

رحمة الله على جدنا المظلوم العظيم.. عليه السلام.

(١٥)

الوزير الفنان - معالي فاروق باشا حسني - غرقان لشوشته في احتفالات دار الأوبرا المصرية بأي شيء وبدون مناسبة. وهو يظهر كثيرًا في التلفزيون "متسبب" وعلى سجنة عشرة.. متورد الوجنتين طافح البشر ضاحك السن.. مش عارف ليه؟! يكونوا مخبيين عليه اللي بيحصل؟

جاي..

لكن الضحايا ما بطلوش بيعتوا شكوي في رسائل مسجلة بعلم الوصول لمعالیه منذ حوالي عشر سنوات! ولا من مجيب يكون مكتبة بيستلم هذه الرسائل ويحولها على سلة الزبالة؟

طب لصالح مين؟ وهل معقول أن يصل الفساد الإداري إلى مكتب وزير بمواصفات الفنان فاروق باشا حسني؟
لا لا.. بتضحك.. طب آمال إيه؟

٢٨٠ مواطنًا مصريًا هم مجموع العاملين في السيرك القومي تقدمهم وزارة فاروق باشا حسني فريسة سائغة لوحوش السيرك القومي التي لا تكف عن التهام أطرافهم واحد بعد الآخر.. وكان آخرهم المواطن سليمان عاشور الذي التهم النمر محسن رجله اليسرى في غفلة من معالي الوزير الفنان فاروق باشا حسني المشغول بالحفلات التي يحضرها أصحاب الفرح ويصورها التلفزيون.. فيقوم هو يطلع في الصورة! مش تقول لي سيرك وحيوانات وناس مبتورين الأطراف.
ويقول ضحايا المستقبل من العاملين بالسيرك القومي أن مرتباتهم مضحكة وحوافزهم تضل الطريق إليهم ولا يعلمون أين تذهب هذا المساء.. ويضيف الضحايا أن سوء حالة السيرك القومي بخيمته المتهالكة وملابسه الأثرية وقذارته القاتلة هي السبب في عدم إقبال الجمهور - وهو الممول الرئيسي- الذي يمكن إدارة السيرك من صرف بدل المخاطر والعدوى للعاملين. ويطالب ضحايا المستقبل بمساواتهم بالحيوانات التي تلتزم وزارة معالي الوزير الفنان فاروق باشا حسني بتغذيتها والمحافظة على حياتها من خلال عقود مبرمة مع وكلاء الحيوانات!

ويقول مدير السيرك القومي (المواطن المصري) محمد أبو ليلة أن وزارة الثقافة تنظر إلى السيرك القومي بعين العداء لأنها تعتبره ابنًا غير شرعي لها.. ولذلك فهي تطبق عليه مضمون المثل الشعبي "اصبر على جارك السوء.. يا يرحل يا تجيله مصيبة".

وأنا أضم صوتي لضحايا المستقبل وهم ينشدون أغنية:

"حنانيك يا فنان يا مدلع الحيوان.. الرحمة بالإنسان حنانيك يا.. فنان"

(١٦)

مع رحلة النهر العظيم انطلق هذا الفتى الجنوبي -رزوقي حلمي- في اتجاه العاصمة التي لا هي مُنف ولا طيبة.. ولكنها القاهرة المعز لدين الله الفاطمي بنت الألف عام، وذات الألف مئذنة ومئات الأبراج - ذات الأجراس - حيث يلتصق الصليب بالهلال في وحدة عضوية أعيت الزمن وأدهشت العقول.

وإذا كانت العائلة المقدسة قد اختارت مصر المحروسة لتحتمي بها من بطش وشر السفّاحين القتلة.. فإن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام قد اختارها واصطفها ليتخذ منها الجند الكثيف.. فهم خير أجناد الأرض لأنهم في رباط إلى يوم القيامة.. كما جاء في الحديث الشريف.

وإذا كانت هذه الأرض الطيبة المباركة هي التي أنجبت اخناتون أول الموحدين وقائد الثورة الاجتماعية الأولى في التاريخ المكتوب.. فإنها عادت وأنجبت الفلاح الفصيح.. فلاح النيل الذي صرخ في وجه الفرعون الحاكم يشكو الظلم وينشد العدل والمحبة والسلام قبل أن توجد أوروبا على الخريطة وقبل أن تعرف الإنسانية معنى وقيمة السلام.

والترحال في قصائد هذا الجنوبي الفصيح -رزوقي حلمي- هو السمة الأساسية، وفي رأيي أنها سمة تؤكد وتعمّق فكرة "هنري بريسند" العظيم واكتشافه النبيل الذي يؤكد أن فجر الضمير قد بزغ منذ آلاف السنين هنا وعلى ضفاف هذا النهر الخالد.. وليس في أي مكان آخر على كوكب الأرض.

ورزوقي حلمي هو ابني الذي احتضنته منذ أن كان يحبو على بلاط ديوان الشعر..

عشر سنوات أو تزيد مرت الآن على لقائي بهذا الشاعر، وبالألمس فوجئت به يزورني في مسكني بمنطقة الزلزال بالمقطم ليقدم لي وليده الأول بكل فخر "الحكم آخر الجلسة"..

وقد ذكرني هذا الموقف النبيل باليوم السعيد الذي صدر فيه ديواني الأول "صور من الحياة والسجن" سنة ١٩٦٢.

والذي جرب هذه الفرحة بالمولود الأول هو خير من يعرف فضل الأم ويقدر عظمتها حين تتحمل متاعب الحمل تسعة شهور عجاف ثم تكابد آلام المخاض في سبيل أن تهب الحياة مولودًا جديدًا.. رحمة الله عليك يا أمي العزيزة الغالية وبارك الله في كل الأمهات.

أما أنا.. ففخور بولدي - رزيقي حلمي - الشاعر الوليد.

(١٧)

أثارت أحداث الثلاثاء الدامي (١١ سبتمبر) في نيويورك وواشنطن موجة عارمة من الرعب داخل الولايات المتحدة الأمريكية، التي طالما صدّرت الرعب والموت للعالم. وخصوصًا الدول والشعوب الفقيرة التي تحولت إلى حقول تجارب لمصانع السلاح في أمريكا وغيرها من الدول الكبرى. وكان من الطبيعي أن يتسرب الرعب والهلع من قلب أمريكا إلى أذنابها المنتشرين في شتى بقاع الأرض.. فيتحول بعضهم إلى أراجوزات تثير الضحك، كوزير داخلية تركيا التعيسة الذي ظهر على شاشات التلفزيون والإنترنت في زفة مضحكة ليعلن على العالم بكل فخر أن قوات الأمن التركية بقيادته قد نجحت أخيرًا في القبض على شقيق أسامة بن لادن الذي تصفه جميع أجهزة الإعلام في العالم بأنه (المشتبه الأول)، كما قالت واشنطن عليها السلام!

وإذا تركنا المشتبه الأول وعدنا إلى وعدنا إلى المقبوض عليه في تركيا، فسندجد مجرد طالب جامعي قد يكون أختًا للمشتبه الأول وقد يكون لا يمت له بأية صلة.. ولكنه في النهاية مجرد مواطن يدرس في الجامعة ولا يحتاج القبض عليه لأكثر من مخبر يقتاده من قفاه إلى حيث يشاء كما يحدث في أي دولة من دول العالم الثالث.

وإذا تركنا وزير داخلية تركيا وزفته المضحكة واتجهنا إلى قلب أوروبا فسندجد أراجوزًا يرتدى القبعة والردنجوت هو رئيس وزراء بريطانيا - العظمي سابقًا - توني بلير الذي لم يتوقف عن التهديد والتلويح بقبضته الفارغة منذ يومها وحتى الآن. وفي المؤتمر الأخير لحزب العمال الحاكم في بريطانيا وقف هذا الأراجوز - المسخة - يهدد ويتوعد جماعة طالبان الحاكمة في أفغانستان ويخبرها بين تسليم المشتبه الأول وبين البقاء على قيد الحياة من عدمه!

وكان يمكن لهذه المسرحية الهزلية بأن تنتهي بهذا المشهد التراجيدي لولا أن وقف النائب اليساري المخضرم - توني بن - ليضع نهاية محترمة بخطابه الشجاع المحترم الذي ندد فيه بهذه الهستيريا التي اجتاحت العالم بلا عقل ولا تفكير.. ثم أكد ضرورة موافقة مجلس الأمن الدولي على أي عمل مسلح تقوم به أمريكا ومن يدور في فلكها ضد ما يسمى بالإرهاب.. ثم طالب الأمم المتحدة بأن تقدم للعالم تعهدًا بتجنيب الأجيال القادمة ويلات الحروب. ثم طالب الولايات المتحدة وبريطانيا بالتوقف الفوري والتام عن القصف الظالم للعراق. ثم فجر قنبلته الأخيرة بأن طالب بإقامة الدولة الفلسطينية دون إبطاء..!! فانفجرت القاعة بالتصفيق والصراخ الهستيري.

ثم قال وهو ينهي خطابه التاريخي الرائع بأنه قد يكون الخطاب الأخير - لأقدر الله - لأن العالم يحتاج إلى مليون توني بن في ظل طغيان وجبروت المؤسسات العسكرية وأجهزة الاستخبارات التي تقود الحياة إلى الموت واختفاء الخصرة في تلافيف الرمال والهجير.

(١٨)

الخواجة بوش الصغير "انهبل يا مينز" ..

بعيد عن السامعين والحاضرين.. يقول إنه حيدمر الكون حبًا في سواد عيون اليهود اللي كانوا محاطينه وهو نازل دش وكأنه سكران طينة بعد ما شرب من دم المسلمين حتى الثمالة في أفغانستان وفلسطين المحتلة.. وعلى رأي المثل الشعبي المصري البليغ "العافية هبله"!!..

وإذا كان تهديد بوش الصغير بسحق وإبادة منظمات الكفاح المسلح يقع في دائرة اختصاصه كواحد من عتاة الاستعماريين المجرمين، فإن تهديده بتكميم أفواه البشر وسحق أي فكر معادٍ للفكر الصهيوني الاستعماري يمنحه اختصاصًا إضافيًا هو "الرقابة على المصنفات".

وأدى رئيس أمريكا يا ولاد.. والمثل الشعبي يقول: "قالوا يا فرعون إيش فرعنك؟ قال ما لقيتش حد يردني!". يعني لو كان أي صوت شريف ارتفع في وجه هذا الطاغية وهو رايح بضرب الشعب الأفغاني -اللى مش لاقى ياكل- بدون أي ذنب ولا أي دليل على تورط بن لادن أو غيره فيما حدث في واشنطن ونيويورك في ١١ سبتمبر الماضي.. كان على الأقل قبل ما ينفلت عياره يحاسب على كلامه اللي أثبت بالفعل أن العالم لا يزيد عن مجموعة من النعاج لاهم لهم إلا الأكل.. و"طظ" في روسيا والصين والاتحاد الأوروبي.. و"طظ" في العرب والمسلمين.. وأكبر "طظ" في السمك والرز...!!

لكن يا محتار الدنيا مش دايمة والزمن دوار.. وأكم من جبابرة وطغاة.. وأكم من دول دالت وعروش زالت وفضلت الأرض على ما هي عليه، حباله ولادة تشرب دموع السما وتولد الخصرة والفرح، ويخطر الإنسان عليها عريس يزوق الحياة بالفرن والإبداع..

وأثناء ما باكتب هذا الكلام في صباح العيد ارتفع صوت النشيد الخالد الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. الله أكبر.. الله أكبر.. والله الحمد.. الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا.. لا إله إلا الله.. وحده.. صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعز جنده.. وهزم الأحزاب وحده.. اللهم صلّي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أنصار سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيرا.. لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه.. مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. الله أكبر.. الله أكبر.. والله الحمد..

قلت: صدق الله العظيم

فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض. وغداً تضمحل الحضارة الغربية وتزول كما زالت سواها.. فهل يتبقى منها مثل هذا النشيد؟!

(١٩)

في كتاب المطالعة الرشيدة بتاع زمان كانت قصص الأطفال تنتثر على الصفحات من الجلدة للجلدة وكان من أبرز هذه القصص وأهمها قصة "الذئب والحمل".. التي تقول بالبلدي ما معناه أن الديب جاع في يوم من ذات الأيام فخرج من جحره ورا رزقه، وأثناء سيره في الغيطان لمح الخروف - اللي هو الحمل- واقف بيشر ع القناية.. فانطلق تجاهه بأقصى سرعة وعمل نفسه بيشر من نفس القناية. فالخروف قال في عقل باله: ابعِد عن الشر وغني له.. وحب ينسحب قبل ما يكمل شربه وفوجئ بالديب يقول له:

- إيه ده يا حيوان إنت؟ مش تحاسب؟

ورد الخروف بمنتهي الأدب:

- أنا لا سمح الله صدر مني أي تصرف ضالِق سيادتك.

- أيوه.. إنت عكرت عليّ الميه.. أشرب ازاى أنا؟

ووضع الخروف على وجه ابتسامة وهو يقول:

- ما عشت ولا كنت لو عملت كده يا فندم.. ويبدو أن سيادتك منفعل شوية وما لاحظتش إن الميه جيه من عند سيادتك..

يعني سيادتك في العالي وأنا في الواطي. يعني حتى لو أنا عكرت الميه يبقى لازم تكون سيادتك واقف بعدي عشان لا قدر الله توصلك الميه العكرة. ولم ييأس الديب فقال له:

- أنا باشبه عليك.. أيوه أيوه مش إنت ياد اللي شتمتني السنة اللي فاتت وجريت دخلت غيط الدرة؟ ومن يومها ما ظهرتش إلا دلوقت؟

- السنة اللي فاتت ازاي يا حضرة الديب.. دنا مولود السنة دي بس.
- يبقى أبوك.

- والدي متوفى يا فندم عقبال أعداءك.
- إنت حتحيرني ليه؟ يبقى حد من قرابيك.
- بس أنا ما ليش قراب من أساسه يا فندم.
- يعني مقطوع من شجرة.. يبقى موتك أحسن.
وهجم الديب الجعان ع الخروف الغلبان قرقرش عضمه من غير دليل اتهام وفي النكتة الشعبية.. أن القط"بسبس" طلع يصطاد فيران بعد الجوع ما قرص عليه، فقابل الفار"مدبولي الحزين" وسأله: إنت اسمك إيه ياد؟

فقال الفار بمنتهى الخشوع:

- أنا محسوب محاسيب سيادتك فلان الفلاني.
قال له بلهجة استفزازية:

- ميت نيلة يا سيدة عليك وعلى عيلتك وعلى البلد اللي حذفتك علينا.
- الله يديم عز سيادتك. لأننا جميعاً عايشين في خير المرحوم والدك"بسبس باشا" رحمة الله عليه.
- إنت من أنهى داهية؟
- أنا حضرتك من عزبة الجحور اللي كانت عايشة في كنف المرحوم جد سعادتك"تونو باشا بس".
- وإيه اللي حذفتك على هنا؟
- سعادتك.. أنا جيت طابير مع فراشات الربيع اللي جذبتها عطر النسيم اللي طالع من بساتين الكرم والشهامة المحيطة بمنزل سعادتك ومنازل الأسرة الكريمة أسرة (بس بس نونو) اللي صنعت تاريخ المملكة القططية على طول الزمان.
وضحك القط"بسبس" ضحكة الغدر وقال له:
- أهى لماضتك دي هي الله حتخليني أكلك.
وهب للنبي.. في ظرف ثانية كان عضم الفار بيطلق تحت أنياب القط بس بس بدون أي اتهام!!
وحتأخذنا الحوادث دي للي بيحصل هذه الأيام في هذا العالم العجيب.. عالم الديابة والخرفان، والقط بسبس ومملكة الفيران.

يعني مش حينفع النفاق ولا معسول الكلام مع الديب الأمريكاني الجعان. ومش حينفع بيع المبادئ والتخلي عن الدين والعقيدة أمام وحش جعان ومصمم على العدوان.. لكن الحتمية التاريخية بعدم دوام الحال هي العلاج الناجع والوحيد.

باستظرك

رغم القساوة ف منظر

لحظة هروبك يا رباب

م الحب لما استتصرك

باستظرك

باستظرك

باستظرك

رغم الشتا والبرد

والرعد المخيف
باستظرك
في الشارع المشغول
بأحوال الرصيف
أنا أصلي حاسب موعدك
وعارف اللي بيبعدك
وأنا اللي خابر
تبقى مين
وأنا اللي صابر من سنين
وبأعد لك بالثانية عمري
وأعد لك مطرح في بستان الأمل
وبأمد لك
أيدي اللي شققها العمل

مدي الخطاوي يا حبيبتي وقدمي
وإن كنتي خايفة من الطريق
اتبسمي
يا شمس يا لي ضحكك
قمر ينور سكتك
أنا اللي عشقك عزني
وانت اللي عشقي يستتك

باستظرك
يا جرحي
يا حلمي العنيد
باستظرك
يا مصر يا حبي الوحيد
وهاتيكي يوم وتصدقي
عشقي الأصيل وتحققي
حلمي الجميل وتزوقي
عمري اللي ضاع مستظرك
باستظرك
باستظرك
باستظرك

* * *

ليه عزيز

(١)

كان الفنان الكبير الراحل زهدي العدوي واحداً من رواد فن الكاريكاتير الصحفي المصريين الذين نقلوا هذا الفن عن الأرمن الذين بدأوه في الصحافة المصرية.

وكان "أبو الزهارة" أو -الزعيم - على رأي الأستاذ نبيل الهلالي أحد الحكماء الذين لا يشق لهم غبار، إلى جانب كونه يتمتع بصوت جميل صقله بالغناء خلف صديقه الشيخ زكريا أحمد شيخ الملحنين - والحكاكين - أيضاً.

ولقد أسعدني الحظ وجمعتني بالزعيم زنزانة واحدة في ليمان أبي زعل ولمدة ثمانية شهور بدأت في يناير سنة ١٩٧٧ على أثر انتفاضة الشعب المصري التي سماها الرئيس السادات - سامحه الله - انتفاضة الحرامية. وكان لتسكينني في زنزانة ٩ بالعنبر الجديد بليمان أبي زعل قصة بدأت بترحيلي من ليمان طره على أثر اصطدامي بإدارة السجن وإضرابي عن الطعام الذي استمر حوالي أسبوعين حتى أجيب مطلبي وهو الترحيل إلى أي سجن آخر بعيداً عن اللواء "ح.ز" مدير سجن طره الذي كان يقيض مرتبه من مصلحة السجون ويتلقى تعليماته من مباحث أمن الدولة!!

وحين وصل إخطار وصولي إلى ليمان أبي زعل طلبت مباحث أمن الدولة من اللواء إبراهيم مصطفى مدير المنطقة المركزية لسجون أبي زعل عدم تسكينني مع الطلبة تقادياً للمشاكل! واقتنع اللواء إبراهيم مصطفى بهذه الفكرة فاستدعي المرحوم زكي مراد المحامي وشرح له الأمر وقال له أن الحل هو تسكينني في زنزانة ٩ مع الماس -الكبارة- الذين هم ١- الأستاذ نبيل الهلالي ٢- الأستاذ زكي مراد ٣- الأستاذ إبراهيم عبد الحليم ٤- الأستاذ فاروق ثابت ٥- الأستاذ رشدي أبو الحسن ٦- الأستاذ عبد اللطيف الحنفي ٧٠ المهندس عبد الرحيم الكريمي ٨- الأستاذ المرحوم عبد المنعم القصاص.. وأخيراً وليس آخراً الأستاذ زهدي العدوي أبو الزهارة أو الزعيم كما سماه أحمد نبيل الهلالي محامي مصر العظيم.

وحين وصلنا إلى بوابة سجن أبي زعل قابلنا الصول محمد عوض ونده على أسمائنا وكنا حوالي ١٤ سجيناً سياسياً ثم نده على أسمي منفرداً وقال: إنت مطلوب في مكتب المدير.

ثم اصطحبني إلى مكتب مدير المنطقة المركزية اللواء إبراهيم مصطفى الذي كنت أعرفه وهو برتبة نقيب في سجن قراميدان سنة ١٩٥٩ حيث كان نائباً لمأمور السجن.. وكان معروفاً عنه أنه لاعب كرة سلة دولي وكان عضواً في فريق مصر الذهبي - فريق حسين منتصر والبير تادرس وأبو عوف... إلخ-

وهذه صفة يفخر بها أي مواطن أيّاً كان موقعه الاجتماعي.. ولكن اللواء إبراهيم مصطفى كان يفخر بأنه يعيش ويربّي أولاده على مرتبه فقط من مصلحة السجون وحين التقيته في ليمان أبي زعل بعد أن أصبح برتبة جنرال كان يفخر إلى جانب نظافة يده بأنه لم يشارك في تعذيب أي مسجون سياسي سواء كان من الإخوان المسلمين أو من الشيوعيين وجلست في مكتب اللواء إبراهيم مصطفى أحتسي الشاي الذي طلبه لي تكريماً وحفاوة فقال لي فجأة.

طبعاً أنا مش عايز أقول لك أنني أتمني لك إقامة سعيدة هنا.

فضحكت وقلت له:

طبعاً ولا أنا عايز أسمع منك الكلام ده ولو سبيل المجاملة.

فقال: أنا كل اللي أقدر أقدمه لكم كمساجين رأي أنني في حدود اللوائح أجيب لكم كافة

حقوقكم بما يرضي ضميري.

(٢)

وبعد احتساء الشاي - الملكي - أفهمني اللواء مصطفى إبراهيم بأنه قرر تسكينني في الزنزانة رقم ٩ ليس نزولاً على أوامر مباحث أمن الدولة ولكن لصواب الفكرة وتجنب ما قد يحدث من مشاكل في حالة وجودي في زنزين الطلبة خصوصاً أنه كان يتوقع أن تطول فترة حبسنا لأن ما حدث يومي ١٨ و ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ كان بمثابة الزلزال الذي طاح بمجموعة

من المفاهيم والقيادات الأمنية وأن الرئيس السادات حول المسألة إلى ثأر شخصي بينه وبين جميع فصائل اليسار السياسي في مصر المحروسة وعلى وجه الخصوص التنظيمات الشيوعية والشيوعيين المصريين فضحكت وقلت: يثاب المرء رغم أنفه. ولم يعلق الرجل ربما لأنه لم يفهم قصدي وربما لأنه أراد إنهاء المقابلة والمشكلة التي قامت برفض بعض الزملاء لفكرة تسكينهم معهم بحجة أنني -ولد فوضوي- ومتطرف سياسياً ومكاني الطبيعي في زنازين الطلبة والشباب المتحمس. وقررت أنا أن أرى هؤلاء الناس -بالمقلوب.

ليه بقى سيادتك؟

عشان يمكن أشوفهم صح.

طب أتفضل..

وبمجرد دخولي الزنزانة -فرشت نمرتي- وهوب للنبي ضربت سقلابا بقت دماغي تحت ورجليا فوق مسنودين على الحيطه وبدأت أفرج على الزملاء سكان المكان الذين صمتوا مذهولين، ودرت ببصري على الوجوه التي حفر الزمان خطوطه على قسماتها بفجاجة وقسوة. ولقد أحسست بمكتعة الاكتشاف وأنا في هذا الوضع الغريب!

وفوجئ الجميع بالزعيم "أبو الزهارة" ينفجر ضاحكاً ويقول لي: أهلاً وسهلاً حصل لنا الشرف يا كبنش..!!

قوم بقى.. وبحركة بهلوانية رحت ضارب سقلابا وفتت تاني وقلت لزهدي: واحد اصلع اترحل في قشرة موز وقع على دماغه اترحل وقف تاني..!

ضح جميع من في الزنزانة ٩ بالضحك، وبدأت حياتي مع العواجز لمدة ثمانية أشهر متواصلة في ليان أبي زعبل الشهير اقتربت خلالها من أحمد نبيل الهلالي المحامي العظيم والابن الوحيد الباشا - نجيب الهلالي- آخر رئيس وزراء في العهد الملكي الذي انتهى في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ليبدأ بعده ما نحن فيه الآن!! تحت دعوى الثورة على الظلم الطبقي والفساد الحكومي! وتحرير فلسطين! وإقامة حياة ديمقراطية صحيحة!!

وكذلك عرفت عن قرب زكي مراد المحامي ابن أحد أغنياء النوبة الذي خطفته فكرة العدالة الاجتماعية من طبقته وواقعة الاجتماعي وقذفت به إلى النضال والسجون والاضطهاد والفروسية في الزمن الخصب!

وكذلك عرفت عبد المنعم الغزالي أحد أفراد أعجب أسرة سياسية في مصر المحروسة فشقيقه سيف الدين الغزالي الوفدي الذي قاد المظاهرة الشهيرة في تشييع جنازة مصطفى النحاس باشا ودخل بسببها السجن وشقيقته الحاجة زينب الغزالي الزعيمة الإسلامية التي دخلت المعتقل ضمن جماعة الإخوان المسلمين أما هو فعوضو منظمة -حدثو- كبرى المنظمات الشيوعية في المنطقة العربية وجرى اعتقاله أكثر من مرة بتهمة الشيوعية.

(٣)

اكتشفت بمرور الوقت في زنزانة "٩" أن الزعيم أبو الزهارة ينتمي إلى نوع من البشر جاء إلى الدنيا ليعطي فقط دون حساب الربح والخسارة ويجد سعادته ومتعته في هذا العطاء. كان رحمه الله يصحو في الصباح ليبدأ الرسم.. رسم جميع المسجونين الجنائيين في العنبر الجديد بليمان أبي زعبل وكان يعطي المسجون صورته وهو ينظر إلى وجهه وحين ترسم الفرحة على ملامح صاحب الصورة كانت السعادة تكاد تنفخ من عيون الزعيم قبل أن يقول جملته المعتادة:

- ياللا يا كبنش.. عقبال صورة الإفراج أو الجواز أو الطلاق!

ثم انتقل الزعيم إلى شلوشية العنبر وصف الضابط فرسمهم، ثم رسم الضباط والمأمور ومدير المنطقة، ثم رسم منشآت السجن من الداخل ثم رسم جميع الزملاء والسياسيين فيما عدا العبد الفقير! وبينني وبينك أنا كنت ح ابيض عشان يرسمني لكنه كان يعاكسني دائماً حين يقول للمرحوم عبد المنعم القصاص بصوت مسموع:

- ساعدني يا منعم.. أنا اصلي ما بارسمش كبنشات

وبالفعل رسم لي المرحوم عبد المنعم القصاص صورة زيتية شديدة الجمال وحين قال له المرحوم زكي مراد:

- بس إنت راسمه كده وهو عنده عشرين سنه مثلاً

قال: أنا شايفه كده

وضحك الزعيم وقال:

- وأنا شايفه أعمل من كده

وانتهزت الفرصة فقلت لزهدي:

- طب ما توريني إنت شايفني قد إيه

فضحك وقال:

- بعينك.. برضه ما بارسمش كبنشات

وكان أبو زهارة ينهي حصة الرسم ليتناول طعام الغداء ثم يبدأ حصة الصناعة التي ينتج من خلالها مجموعة جميلة متنوعة الأشكال والأحجام من الأباجورات التي كان يهديها للزملاء والذين يمارسون القراءة ليلاً وكان الزعيم يسميهم - الجماعة بتوع الليل وآخره- وفي الفترة التي قضيناها معاً في ليماي أبي زعل الشهير تعلمت الكثير من هذا الإنسان الرائع والفنان الجميل. وكان زهدي حين يرسم (بورتريه) لأحد الزملاء الشباب كان يقيم معنا في زنزانة"٩" بحجة أنه يريد التفرغ لتحضير رسالة الماجستير ووجوده في زنازيين الطلبة لا يعطيه الهدوء المطلوب! والحقيقة أن هذا الزميل لم يستطع طويلاً أن يخفي شخصيته لأن السجن يسقط الأقنعة ويكشف المستور من خلال تصرفات الإنسان أثناء الأكل وأثناء النوم وأثناء الحديث وحتى أثناء وجوده في دورة المياه! لأن هذا الزميل كان يجاورني فقد تصورت أنني الوحيد الذي اكتشفت سلوكياته التي تتناقض تماماً مع مزاعمه التي يعلنها بصوت جهوري وفصاحة منحنه مقعد الزعامة وعصا الريادة في التنظيم الذي ينتمي إليه والذي يجمع مجموعة من أنقي وأخلص وأنبع الشباب في جامعة مصر المحروسة ولقد كنت أكنم ملاحظاتي على هذا الزميل وأخفيها عن باقي الزملاء.. وذات صباح فوجئت بالزعيم يلصق على الحائط صورة رسمها لهذا الزميل مع أنه لم يفعلها من قبل والحق أنني لم أدقق النظر في الصورة وكان اليوم هو موعد زيارتي فنزلت إلى غرفة الزيارة وعندما عدت من الزيارة إلى العنبر ثم إلى زنزانة"٩" وجدت على فرشه الزميل المجاور لي الشاعر زين العابدين فؤاد فسلمت عليه وسألته:

- تحط نمرك فين؟

فقال لي:

- ما هي دي نمركي.

- أمال فين فلان؟

- فلان انتقل أوضه تانية حسب طلبه.

وتوجهت ببصري إلى الصورة فعرفت السبب

(٤)

اتضح من خلال المعايشة في ليماي أبي زعل أن الزعيم أبو الزهارة مش مجرد رسام كبير فقط.. إنما ثبت بالفعل أن زهدي العدوي رحمه الله عليه كان مجمع مواهب متنقلاً، وقد قررنا أن نعد له مفاجأة في عيد ميلاده الواحد والستين، فقام المهندس عبد الرحيم الكريمي وتيمور الملواني بإعداد مسرح الاحتفال بالغرفة رقم ١٢ المخصصة لمذاكرة الطلبة بمبادرة كريمة من اللواء إبراهيم مصطفى مدير المنطقة المركزية لسجون أبو زعل.. وفي تمام الساعة الرابعة عصر ذلك اليوم كانت الغرفة المزركشة تستقبلنا جميعاً وتحتضن مهرجان (كل سنة وأنت طيب يا زعيم) الذي أعده شباب المعتقلين على أحسن ما يكون الإعداد.

بدأ الحفل بأغنية - يا دنيا يا غرامي- التي أدتها فرقة الغرفة رقم خمسة الشهيرة بـ (غرفة الإنعاش). ورغم بشاعة أصوات أعضاء الغرفة إلا أنهم أضفوا على الاحتفال جواً من المرح الذي يليق بعيد ميلاد الزعيم في هذا الحفل المفاجأة.. أما مفاجأة المفاجآت فكان الزعيم المحتفى به.. حين غنى رائعة سيد درويش "على قد الليل ما يطول!" التي صنفنا لها بشكل هستيري متواصل (حوالي خمس دقائق!) ثم توالى التعليقات (يااه كل دا في قلبك وساكنت) و (دانت اتاريك ميه من تحت تن!) و (آمال إيه اللي رماك ع الرسم؟) و (بذمة النبي فيه حد يغني كده ويتحبس؟!).

وفي المساء حين أغلقوا أبواب الزنازين وجمعنا صلبة السهر زهدي وعبد المنعم القصاص وأنا ونام جميع الرفاق وتحلفنا حول ترابيزة زهدى. وهو بيرسم وأنا وعبد المنعم القصاص شغالين أنا بالف سجائر وعبد المنعم القصاص بيعمل القهوة ع السبرتاية وعبد المنعم الغزالي نايم بيشخر.

وفجأة وبدون مناسبة قلت:

- بس إنت مظلوم يا زعيم!

فقال الزعيم دون أن يرفع وجهه عن اللوحة التي يرسمها:

- مظلوم في إيه يا كبنش؟

ونظرت إلى عبد المنعم القصاص الذي كان يبتسم ابتسامة لها أكثر من مغزى.. وقلت الزعيم:

- مظلوم في الفلوس مثلاً

فأجابني بمنتهى البساطة والقوة:

- والله أنا مكيف وضعي بحيث أن الفلوس اللي بيدوها لي بتكفيني.

فقلت مشاكساً:

- بس فيه ناس بياخدوا فلوس أكثر منك.

فتساءل:

- زي مين يا كبنش؟

قلت:

- زي حجازي مثلاً.

فأجاب على الفور:

- حجازي بيرسم أحسن مني؟

ونظرنا إلى بعض، عبد المنعم القصاص وأنا، في صمت حوال دقيقة ثم انفجرنا ضاحكين، ثم اندفعنا نحو الزعيم وأشبعناه بالقبل.

(٥)

في قصيدته الرائعة: "غيري على السلوان قادر"، يقول سيدي ومولاي سلطان العاشقين أبو حفص عمر بن الفارض في وصف المحبوب:

حلو الحديث وإنها لحلاوة شقت مرائر!

وهكذا كان الزعيم أبو الزهارة حين يتحدث أحياناً عن الخيانة التي تدمي قلبه "البستان" فيختلط الدم بالخضرة في مشهد مروع وأليم!

... كان عام ١٩٦٤ على موعد مع الأحداث الجسام. فقد حانت لحظة تحويل مجرى نهر النيل لأول مرة في التاريخ وذلك ضمن عملية بناء السد العالي التي تولاها الاتحاد السوفيتي الصديق بعد سحب العرض الأمريكي بتمويل المشروع على أثر مذبة "الصبة" الوحشية التي ارتكبتها الصهاينة ضد كتبية مصرية استطلاعية منزوعة السلاح تقريباً.

وسافر علي صبري مدير مكتب الرئيس إلى واشنطن للتعاقد على صفقة أسلحة تضمن لمصر عدم تكرار مذبحه الصبحه، ولكن اللوبي الصهيوني المنتشر في كل مؤسسات النظام الأمريكي تدخل وأفشل الصفقة. وعاد مبعوث الرئيس المصري من واشنطن "وقفاه بقمع عيش" كما يقول المثل الشعبي، فاندفع نظام الرئيس جمال عبد الناصر في اتجاه الاتحاد السوفيتي الذي لم يفوت الفرصة وقام بتسليح القوات المسلحة المصرية بتسهيلات خرافية. أرسل خبراءه لمصر للشروع فوراً في إنشاء السد العالي "أحد أكبر المشروعات الهندسية في القرن العشرين"، وعندما حانت لحظة تحويل مجرى نهر النيل لأول مرة في التاريخ أرادها عبد الناصر احتفالية عالمية يرد بها على صلف الأمريكيان لعلهم يندمون.

ووجهت الدعوات لصفوة زعماء العالم لحضور هذا الحدث الكبير، وكان طبيعياً أن تشمل الدعوات أول ما تشمل زعماء دول عدم الانحياز. جوزيف بروز تيتو - رئيس الاتحاد اليوجوسلافي وجواهر لال نهرو "ربيب المهاتما غاندي" ورئيس الهند وأحمد سوكارنو الرئيس الإندونيسي الشقيق والصديق فيدل كاسترو قائد الثورة الكوبية ورفيق المناضل العالمي الأسطورة "شي جينغ" .. وأخيراً وليس آخراً وجهت الدعوة لأشهر وأمع وأذكى وأطرف رئيس للاتحاد السوفيتي "نكيتا خروشوف". وهنا كانت المفاجأة فبعد أن وصلت الموافقة مشفوعة بالشكر والتقدير من جميع المدعوين لم تصل الموافقة من الاتحاد السوفيتي وهم من أصحاب الفرح، ولكن وصل اعتذار رقيق من الرئيس خروشوف يقول فيه لصديقه جمال عبد الناصر:

"لو كنت يا صديقي مجرد رئيس دولة لوافقت على الفور وليبت دعوتك الكريمة، ولكنني أولاً السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي.. فهل ترى يا صديقي أنه بإمكانني حضور هذه الاحتفالات وكل القيادات العمالية والشيوعية في مصر رهن الاعتقال؟"

وصدر على الفور قرار الرئيس عبد الناصر بالإفراج الشامل عن كافة المعتقلين الشيوعيين الذين تم اعتقالهم عام ١٩٥٩ عقب إعلان الوحدة مع سوريا في ٢٢ فبراير ١٩٥٨!!!

(٦)

وأعلنت إدارة القوى العاملة المصرية "حالة الاستنفار" حتى تتمكن من استقبال الأعداد المهولة من كوادر التنظيمات الشيوعية المفرج عنها (فجأة) بقرار رئيس الجمهورية ومطلوب سرعة تسكينها في الوظائف التي تتناسب مع قدرات كل منهم واستعداداته للعطاء ومؤهله الدراسي.

وبطبيعة الحال حظيت وزارتان بالتحديد بالنصيب الأكبر من هذه الكوادر التي تتكون في غالبيتها من المبدعين والمتقنين والصحفيين الذين اعتنقوا هذا الفكر ودفعوا النمن!

فوزارة الثقافة مثلاً استوعبت الكثيرين في مؤسسات المسرح والسينما والهيئة العامة للكتاب والثقافة الجماهيرية التي أنشأها العظيم الراحل "فتحي رضوان" الملقب بـ "شيخ المعارضة المصرية"، وهو الوحيد من الكوادر السياسية في العهد الملكي الذي حظي باحترام جمال عبد الناصر لدرجة أنه اختاره ليكون وزيراً للإرشاد القومي ومنحه سائر الصلاحيات التي مكنته من تنفيذ أفكاره العظيمة كالثقافة الجماهيرية ومكتبة الأسرة التي أصدرت سلسلة "كتابي" بسعر قرشين صاغ للنسخة وترجمت أغلب النصوص من المسرح العالمي، وكانت النسخة التي تحوي مسرحية واحدة تباع بخمسة قروش بينما كان العدد الممتاز الذي يحوي ثلاث مسرحيات يباع بعشرة قروش! وكما أخرج جمال عبد الناصر فتحي رضوان من السجن السياسي وكرّمه واستوزره، فقد فعل السادات العكس تماماً مع هذا الفارس النبيل.. فقد اضطهده سياسياً واعتقله أكثر من مره كان آخرها ضمن ضربة ٤ سبتمبر سنة ١٩٨١ التي أودت بحياة السادات نفسه ووضعت له نهاية درامية.

أما وزارة الإعلام التي كان على رأسها ضابط المخابرات العجيب عبد القادر حاتم، فقد استوعبت عدداً كبيراً آخر من هذه الكوادر الشيوعية المفرج عنها بقرار رئيس الجمهورية، فاستقبل التلفزيون بعضهم واستقبلت الإذاعة البعض الآخر. أما الصحافة فقد استقبلت العدد الأكبر منهم، وكانت جريدة الجمهورية تحت قيادة البكباشي أنور السادات هي جريدة الثورة فاستوعبت مجموعة الصحفيين فقط، وكان من الطبيعي أن تفتح مؤسسة "روز اليوسف" أحضانها للمبدعين والمتقنين من هذه

الكوادر بحكم نشأتها وطبيعتها الليبرالية ومبادئها الوطنية التي أرستها ورسختها العظيمة الراحلة السيدة فاطمة اليوسف وفاقها.. المازني والعقاد والتابعي والحمامصي وغيرهم وغيرهم من هذه الكوكبة المضيئة من نجوم صاحبة الجلالة المصرية الذين وضعوا اللبنة الأولى لهذا الصرح الشامخ - رغم كل شيء.. رحمة الله وبركاته عليهم أجمعين.

(٧)

ودخلت مؤسسة روز ليوسف الصحفية أخطر وأهم مراحل حياتها بعد أن احتضنت كتيبة القادمين من وراء الشمس لينضموا إلى هيئة تحريرها أحمد بهاء الدين وإحسان عبد القدوس وصلاح جاهين وحجازي وأخيرًا وليس آخرًا الأم الرائعة فاطمة اليوسف.. وكانت الكتيبة القادمة من وراء الشمس بقيادة العم العظيم حسن فؤاد تضم في صفوفها زهدي العدوي وصلاح حافظ وجمال كامل ومحمد قناوى وغيرهم ممن لا تسعني الذاكرة الآن بأسمائهم، وتحول المبني إلى خلية تموج بالأفكار الشابة والإبداعات الإنسانية العظيمة وصدرت -صباح الخير- إلى جانب أختها الكبرى روز اليوسف فاستقطبت الشباب وقدمت بقيادة أحمد بهاء الدين مجموعة من الفنانين الشباب كصلاح جاهين ورجائي أنيس وحجازي وأيهاب شاكور وعادت روز ليوسف إلى ممارسة دورها كمدرسة للصحافة الوطنية الثائرة والمتجددة دائمًا وخاضت مجموعة من المعارك الشرسة دفاعًا عن التقدم والتطور الجديد الذي تحتاجه مصر المحروسة حتى توأكب العصر الذي نشأ بانتهاء الحرب العالمية الثانية ونشوء وصعود الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تشارك مشاركة فعالة في الحرب لبعد موقعها عن مرمى المدفعية وقنابل الطائرات وقذائف الطوربيدات البحرية التي أحالت مدن أوروبا وروسيا إلى أنقاض على مدى ست سنوات من القتال الدامي المتواصل المتوحش.

هذا وما زالتُ أذكر معركة صباح الخير التي قادها أحمد بهاء الدين وصلاح جاهين في مواجهة جبهة الجمود بقيادة الكاتب الكبير عباس محمود العقاد، الذي اشتكى تطاول هؤلاء العيال على مقامه السمي لجمال عبد الناصر. أن هذه المعارك الفكرية كانت تصب في النهاية في قنوات الثقافة المصرية بشكل إيجابي فتشكل إضافة خلاقة للموروث الفكري المصري. وأبلغ الأستاذ العقاد أنه لا يريد التدخل في هذه المعارك ما دام حق النشر متاح للجميع وأنه -جمال عبد الناصر- سوف يتدخل فورًا في حالة ما إذا منع أحد الطرفين من استخدام حقه الطبيعي في الرد على الطرف الآخر. وإلى جانب هذا انفردت مجلة صباح الخير الوليدة -الشقية- بنشر "الشمندورة" رائعة الأدب العربي التي كتبها محمد خليل قاسم في معتقل الواحات على ورق البفرة وبماء البصل حتى يمكن تهريبها إلى الخارج.

(٨)

سقط منى سهوًا مع الأسف اسم الشاعر العظيم فؤاد حداد وأنا أقدم كتيبة القادمين من وراء الشمس إلى مؤسسة روز اليوسف وهو الصديق الصدوق لصلاح جاهين الذي كتب له وفيه مجموعة من القصائد الرائعة أثناء وجود حداد في المعتقل. ومن هذه القصائد أذكر "تراب دخان" و"غنوة برمهات" التي تبكيها كلما قرأتها حتى الآن، وكان يندس بين صفوف الكتيبة عنصر جندته مباحث أمن الدولة أثناء وجوده بالمعتقل. وبمجرد وصوله إلى مؤسسة روز اليوسف ضمن الكتيبة بدأ على الفور ممارسة عمله السري ولكنه لغبائه وقصر نظره لم يستغ العلاقة العضوية بين الشعارين العظيمين جاهين وحداد فاختلف بصلاح جاهين ونصحه بالابتعاد عن هؤلاء الشيوعيين العملاء.. يقصد فؤاد حداد، وكاد رأس صلاح جاهين أن ينفجر فلجأ إلى العم حسن فؤاد يسأله حلاً لهذا اللغز وتفسيرًا لهذا اللوغاريتم.

وكان يجلس في مكتب حسن فؤاد لحظتها مجموعة من الرفاق، من بينهم صلاح حافظ.. وقرر العم حسن فؤاد التكتم على الموضوع حتى لا تضطر مباحث أمن الدولة إلى زرع عنصر آخر إذا علمت أن هذا العنصر قد تم كشفه وحرقه. فقال لصلاح جاهين:

- اعتبر أنك لم تسمع ما قاله لك هذا المخبر وبالتالي لم تقم بإبلاغه.
ثم قال للحاضرين:

- هذا هدف أحرزناه في مرمى مباحث أمن الدولة، وحتى يظل الموضوع محاطاً بالسرية علينا أن نخفيه عن الرفيق زهدي.

ولكن صلاح حافظ لم يستطع أن يقاوم هوايته في صناعة المقالب، فخرج من مكتب العم حسن فؤاد إلى غرفة الرسامين حيث وجد زهدي منكباً على الرسم فتصنّع أنه أخطأ في دخول الغرفة في هذا الوقت فعاد بظهره وهو يقول بصوت مسموع:

- معلش... أسف يا زُملا.. آجي وقت ثاني بقی.

ورفع زهدي رأسه عن الورق ونظر لصلاح جاهين وقال:

- تعالی تعالی اتفضل.

- أنا خايف اعطلك..! فأجابه:

- تعطلني عن إيه يا أخي تعالي. وقال صلاح حافظ:

- آجي بس بشرط..! فقال زهدي: أشرط يا سيدي. فقال:

- تطلب لي شاي م البوفية وتقعّد تسمعني بدون تعليق أو رد فعل.. أرجوك!!

وبدأ الفار يلعب في عب أبو الزهارة فترك الرسم وقال لصلاح حافظ:

- تعالي جر الكرسي اللي هناك ده واقعد جنبي وأنا أطلب لك الشاي وأسمعك.

وعاد صلاح حافظ يقول:

- من غير تعليق يا زميل زهدي.

- من غير تعليق ولا رد فعل!

- دا وعد؟

- وعد.

وسحب صلاح حافظ الكرسي وجلس في حضن زهدي تقريباً بعد أن أغلق باب الحجرة حجرة الرسامين.

(٩)

استدعي صلاح حافظ كل قدراته الخارقة على التشخيص، وافتعل الحيرة وعدم الفهم وقال لزهدي:

- أنا عاوزك تطرطق لي ودانك وتسمعني كويس، لأن الموضوع بيتهيأ لي له أبعاد خفية! فقال أبو الزهارة:

- موضوع إيه وأبعاد إيه.. ما تتكلم يا بو الصلح. قال صلاح حافظ:

- أتكلم أقول إيه بس يا زعيم، أنا مندهش ازاي قدروا يخترقونا بالسهولة دي، لأ ومين " " بالذات.. اللي كان بيزايد

على الجميع..!

- بتقول مين؟

- باقول لك " "!!

- عموماً أنا التجربة افقدتني الإحساس بالدهشة.. لكن انتو اكتشفتموه ازاي؟

- هو اللي كشف نفسه لما راح لصلاح جاهين وقال له ابعده عن الشيوعيين العملا.. إنت يا صلاح شاعر مصر

كلها

لم يكمل صلاح حافظ باقي السيناريو.. لأن زهدي قام واندفع إلى خارج حجرة الرسامين باتجاه حجرة المحررين حيث

كان " " يجلس على مكتبه، واتسعت ابتسامة صلاح حافظ وقال بصوت مسموع:

- يا بختنا بالنبي!

واتجه أبو الزهارة إلى مكتب " " وقال له:

- إنت قلت إيه لصلاح جاهين امبارح؟؟

فقال "... بنوع من الفجر:

- وانت مالك؟ أنا أقول أي حاجة في أي وقت.. أناحر..!!

وفوجئ جميع من في الحجرة بأبو الزهازة يوجه أربع صفعات إلى وجهه المكتنز. ثم قال له:

- كل ما اشوفك ح اضربك وبمنتهي القسوة يا جاسوس.

وقامت الدنيا ولم تقعد. وكانت كل مؤسسات الدولة وبالذات المؤسسات الصحفية بها مندوب من مجلس قيادة الثورة يُدعي أركان حرب، وفي هذه الأثناء كان أركان حرب مؤسسة روز اليوسف هو الرائد محمد أبو نار الذي اشتبك مع أبو الزهازة في حوار شبه فلسفي بدأه بـ:

- مش معقول يا أستاذ زهدي ناس مثقفين وعاقليين زيكم يصل الأمر بينهم إلى استخدام الأيد. وقال أبو الزهازة:

- يا سيادة الرائد أنا عارف أنكم نظام بوليسي.. وبناء عليه من حَقَمَ تجننوا عملاء في كل حجرة في مصر، أنا بس معترض على نوعية العملاء.. يعني مفروض أنكم سلطة وطنية ومن هنا عليكم حسن اختيار العملاء. وضحك أبو نار وهو يقول لأبو الزهازة:

- يا ريتك تساعدنا في تنقية عملاتنا!! وقال أبو الزهازة:

- المسالة مش كيميا.. لو شغلتم حاسة الشم عندكم حتقرزوا الوسخ من النضيف.!!

(١٠)

- وبعدين يا يو الزهازة

- ولا قبلين.. أنا سبت الدنيا مقلوبة في روزا وروحت، وعشان اشترى دماغي شلت فيشة التليفون وقعدت اشتغل..

- وقدرت تركز في الشغل يا زعيم؟

- وما اركزش ليه يا كابنش؟ فيه عندكم مانع؟

- لا العفو.. بس الكارثة اللي إنت عملتها في روزا بيتهيأ لي يعني كانت محتاجة منك شوية تفكير.

- تفكير في إيه بالضبط يعني؟

- في ردود الأفعال مثلاً

- مفيش ردود أفعال.. دا ولد جاسوس قدر وكان لازم يأخذ جزاءه.. وخده وابور نار!! ما أنا قلت لك يا كبنش الحوار

اللي بيني وبينه، ويبدو أنه اقتنع..

- اقتنع بإيه لا مؤاخذه؟

- اقتنع بأنه لما يجي يجند جاسوس جديد يبقى ينقيه على الفرازة.

- طب وعم حسن فؤاد؟

ضحك بشدة وقال:

- حسن فؤاد عرف إن صلاح حافظ ما قدرش يكبت شره في سبيل المصلحة العامة فعمل عملته السودا دى. وصلاح حافظ زي عوايده استعبط واندesh جداً وهو يقول لحسن فؤاد: نفسي أعرف مين اللي راح قال لزهدي. وضحك حسن فؤاد وسأله: طيب ولو عرفته يا بو الصلح حتعمل له إيه؟ وقال صلاح حافظ للجالسين في مكتب حسن فؤاد: انتو بتبصولي كده ليه يا زملا؟ ... انتو متصورين؟ وانفجر الجميع بالضحك وقالوا في نفس واحد: احنا مش متصورين يا بو الصلح، احنا متأكدين!!! بس يا سيدي وتاني يوم الصبح وأنا داخل مبني روزا قال لي موظف الاستعلامات: الست عايزاك يا أستاذ زهدي ومنظرك في مكتبها. وطلعت الدور السابع ودخلت مكتب الست فاطمة اليوسف اللي قابلتني بابتسامة سعيدة وقالت لي: إيه يا أستاذ زهدي اللي حصل امبارح في المؤسسة؟ قلت لها: إنت ما عرفتيش أحكي لك.. والّا عرفتي وعندك استفسارات؟ قالت لي عرفت.. وبالتفصيل الممل. قلت لها: وإيه رأيك؟ قالت لي: رأيي إن دي أعظم رسماية رسمتها في حياتك.

(١١)

وإذا تجول بك ابو الزهارة في حديقة الظرفاء في مصر المحروسة إذن فأنت على موعد مع رحلة ممتعة تتمني ألا تنتهي..

- ما رأيك يا زعيم في عبد الحميد الديب؟
- من حيث إية يا كبنش؟
- الشعر مثلاً؟
- هو شاعر عصره بلا منافس لولا مؤامرة الصمت المضروبة على إبداعه الشعري
- أيوه يا زعيم بس دا أغلب شعره إباحي يعني من النوع اللي يجرح الحياء العام
- يا سيدى ميت نبيله عليك وعلى الحياء العام ... ده ساب كل بلاد الدنيا وقعد لنا هنا ليه ما قعدش في أوروبا وأمريكا مثلاً. ثم إنت عارف إن هذا النوع من الإبداع منتشر بشدة في أوروبا وأمريكا ولا مش عارف؟
- بصراحة يا زعيم أول مرة أسمع بالحكاية دي؟
- طيب بلاش الحكاية دي.. إنت كشاعر إيه رأيك في أبو نواس؟
- وهو أبو نواس مستني رأيي؟؟!!
- عفارم عليك يا كبنش.. أهو أبو نواس ده بغض النظر عن فحولته الشعرية هو مؤسسة الثورة الأولى في الشعر الإباحي، ومع هذا ما حدش صادر إبداعه بحجة حماية الحياء العام.
- أيوه يا زعيم بس إيش جاب لجاب.
- ما فهمتش تقصد إيه يا يش جاب لجاب.
- يعني ده أبو نواس وده عبد الحميد الديب.. يعني إنت يا زعيم عايز تفهمني أن عبد الحميد ما يقلش شاعرية عن أبو نواس، ده إذا ما كانش يزيد يا كبنش. آمال ليه.. أبو نواس شعره متداول بينما عبد الحميد الديب شعره ممنوع. شفت ازاي؟
- أيوه أيوه الفرق في الرقابة على المصنفات
- مش في الرقابة بس إنما الفرق في العصر كله يعني في العصر العباسي فتحت الدولة جميع النواذ على الإبداع الإنساني في كل الحضارات وسبقت أوروبا في ترجمة مسرح الإغريق، وكان من نتيجة هذا الانفتاح الثقافي ميلاد وصعود مجموعة من أعظم شعراء العربية كالمتنبي وأبي تمام وأبي نواس والمعري وأبي فراس الحمداني وغيرهم وغيرهم.. فهمت يا كبنش؟
- فهمت يا زعيم.. طيب وامتني بإذن واحد أحد حيفرجوا عن شعر عبد الحميد الديب؟
- في العصر العباسي الثاني إن شاء الله!!
- وده امتي يا زعيم؟
- يوم القيامة العصر يا كبنش.

(١٢)

ويسترسل أبو الزهارة في الحديث الممتع عن معاصريه من ظرفاء مصر المحروسة: الشيخ زكريا أحمد شيخ الملحنين والشاعر محمد مصطفى حمام والشاعر إمام العبد والشاعر عبد الحميد الديب وشاعر النيل الكبير حافظ بك إبراهيم وشاعر الأطلال إبراهيم ناجي الذي مارس الشعر والطب في وقت واحد وكان مهذباً لدرجة تغيط على رأي زهدي الذي يروى هذه الواقعة:

- كنا قاعدين على قهوة متانيا بنطالع صحافة الصباح، حينما اقتحم مجلسنا شخص يرتدي ملابس بلدية فاخرة.. وحين رآه الجرسون هرول باتجاه مرحباً: أهلاً أهلاً يا عمدة أشرققت الأنوار فأجاب العمدة: أهلاً يا واد يا فرماوي كيف حالك؟ فأجاب

الجرسون بمنتهى الأدب: الحمد لله يا حضرة العمدة.. محسوبك الكفراوي مش الفرماوي. فقال العمدة معذراً: معلش يا فرماوي العتب على النظر والقلم بيغلط، وازيك يا فرماوي!! وضج الحاضرون بالضحك فقال العمدة!! حساب البهوات عندى يا ... فقال جميع الجالسين في نفس واحد: فرماوي!! وضجوا بالضحك، ثم وجه العمدة الحديث لنا متسائلاً: أمال مين فيكو يبقى الأستاذ ... ؟ فبادر كامل الشناوي مكماً: فرماوي؟ فانفجرنا ضاحكين، ولكن العمدة دار ببصره على الحاضرين ثم توقف عند ناجي وقال: إنت تقريباً!! وكان إبراهيم ناجي بالغ الخجل أمام المعجبين فقال: أنا مين يا عمدة؟ فقال العمدة: أنت اللي أنا جاي أسألك عن الشاعر اللي بيعجبك من دون شعراء مصر والسودان. فقال ناجي: اللي بيعجبني فعلاً هو الأستاذ علي علي!! فقال العمدة: مين علي علي يا أستاذ؟؟ فأجاب ناجي على الفور: والله ما أنا عارف يا عمدة. ولأول مرة انفجر العمدة ضاحكاً من أعماقه ففوت في المقهي عاصفة من الضحك.. الضحك الذي يأتي من القلب.

(١٣)

ويسترسل أبو الزهارة في رواية طرائف عبد الحميد الديب التي يراها الزعيم زهدى لا تقل غرابة عن شعره الفريد.. فيقول:

عبد الحميد الديب ده كان كبنش ما يتخبرش عن السامعين. يعني مثلاً أيام ما كان ساكن في أوضة حوش آدم، وقع في غرام جارتة فاطمة بباعة اليانصيب، واتفق معاها على الجواز.. وأقنعها بأن الحياة تعاون بين الزوجين. وبناءً عليه لازم هيّ كمان تساهم في تأثيث عش الزوجية كما يفعل العشاق في كل زمان ومكان. واقتنعت المسكينة وقررت أن تنقل أثاث حجرتها، وهو عبارة عن حصيرة ونصف بطانية جيش ومخدة، إلى حجرة العريس الذي كان يفتش ورق الصحف ويتوسد قالب طوب أحمر صيفاً وشتاءً. وبالفعل قامت العروس بتنظيف وتبخير وفرش عش الزوجية استعداداً لليلة العمر في أحضان العريس المقيم الأستاذ عبد الحميد، كما كان يعرف في بيت قابيل بحارة الحمام بحوش آدم. وظل عبد الحميد الديب ينشر هذا الخبر ويستعد ليوم الخميس الموعد... وقام بفتح أكثر من حساب عند الأصدقاء والمعجبين، فافترض ما استطاع من نقود وملابس ... وزجاجة ويسكي من كامل الشناوي الذي سأل أخوه الأصغر مأمون الشناوي:

- إنت صحيح مصدق أن الجواز هيعدل حال الديب ويقدر يسدد ديونه بعد كده؟

- لا طبعا مش مصدق

- أمال ليه بتسلفه ويتخلي صحابك يسلفوه؟

- لأن الولية بتاعة اليانصيب دي هيّ الحال النهائي لعبد الحميد الديب ... ودا مش رأيي دا رأي جليل البنداري. - يعني جليل البنداري رأيي إن فاطمة بتاعة اليانصيب ممكن تعقل عبد الحميد الديب يا كامل؟

- أو تشحنه على الخانكة وتخلص العالم من شره يا مأمون!!

وفي بيت قابيل في حارة الحمام بحوش آدم، دخلت الحاجة أم العربي زعيمة نساء الربع على فاطمة بتاعة اليانصيب وهي بتجهز عش الزوجية وقالت لها: مبروك يا فاطمة. فقالت فاطمة: الله يبارك فيكي يا حاجة عقبال عندك. وقالت الحاجة أم العربي: إنت صحيح هتجوزي الأستاذ عبد الحميد؟ ولعب الفار في عب فاطمة فتساءلت: ماله الأستاذ عبد الحميد يا حاجة؟ ما مالوش يا بنتي.. ولا حاجة بس راجل شمام يكفيننا الشر ... يعني تصومي وتصومي وتفطري على بصلة!!! واستعدت الحاجة أم العربي لمغادرة المطرح وهي تقول: أنا ما قللتكيش حاجة يا فاطمة، أنا يا بنتي عندي ولايا زيك ... وانت عقالك في راسك واعرفي خلاصك.

(١٤)

في المساء وعلى غير العادة، عاد الديب مبكراً إلى عطفة قابيل بحوش قدم حيث تنتظره الحبيبة فاطمة في عش الزوجية الذي تبدلت ملامحه بعد حملة التنظيف والتأثيث التي اضطلعت بها الزوجة الصالحة ليبدأ معها رحلة الاستقرار والتبات والنبات، كما يقول الموروث الشعبي المصري.

كان العربي محملاً بالهدايا التي انتزعها من الأصدقاء برسم زفافه السعيد الذي لا يأتي سوى مرة في العمر -حسب تعبيره هو- وكانت أئمن الهدايا وأهمها على الإطلاق هي ذلك البالطو الكشمير الجديد القشيب الذي منحه إياه صديقه الصدوق وراوية شعره ونوادره الأستاذ عبد الحميد قطامش المحامي. وعندما بلغ العريس السعيد باب حجرته وجدها مفتوحة على مصراعيها، وحين دخلها لم يجد العروس ولا الأثاث ... وإنما وجد فراشه القديم المكون من ورق الصحف وقالب الطوب الأحمر في مكانه القديم!! وأظلمت الدنيا في عينه فخرج كالمجنون ليجد الحاجة أم عربي في وجهه فسألها:

- ما شفتيش فاطمة يا حاجة؟

فأجابت الحاجة دون أن يبدو على ملامحها أي انفعال:

- في أوضتها يا أستاذ.

واندفع الديب إلى باب غرفة المحبوبة ودفعه ودخل ليجدها في غاية الكآبة والانتكاس وأثار دموعها لا تزال عالقة برموشها وعلى صفحة خدودها وسألها:

- فيه إيه يا فاطمة

- فأجابت دون أن تنتظر إليه

- حيكون فيه إيه يعني؟ مافيش حاجة.

- مافيش حاجة ازاي يا حبيبتي؟ أمال ليه هديتي عشنا السعيد ورجعتي ثاني هنا!

- كل واحد حر يا أستاذ.

- طيب قللي لي إيه اللي صدر مني وزعلك.

- إنت عارف إيه اللي زعلني منك

- لا والله ما صدر مني شيء يزعلك ولا حيصدر مني شيء يزعلك في المستقبل.. دنا باحبك يا فطومة.

- طب إيه رأيك أن الناس بيقولوا عليك شمام.

وتراجع الديب مأخوذاً ودخل حجرته وأقفل بابها عليه وانفجر في بكاء مكتوم زلزل كيانه، وظل يبكي حتى الصباح ثم بدأ

يكتب قصيدته الخالدة التي يقول مطلعها:

أفأطم ... أن الناس قد أكلوا عرضي

وبت لعينا في السماوات والأرض

يقولون شمام وما شم معطسى

سوى الورد والياسمين ... والنرجس الغض

(١٥)

وداعاً يا منزل قابيل.. وداعاً يا حارة سيدى يحيى.. وداعاً يا حوش قدم ... وداعاً يا فاطمة يا حلم العمر بالصدر الحنون

والحزن الدافئ وراحة القلب والجنب من شقاء الحياة ومشوارها الوعر الطويل.

وأصبح بيت قابيل ولا حديث له سوى رحيل الديب المفاجئ الغريب ... وقالت الحاجة أم العربي:

- شوفي يا أختي البت! أنتي زعلانة عليه يا موكوسة؟ دانتي تدعي لي إني خلصتك منه. طب افرضي إنه اتجوزك كان

حيأكلك منين؟

ولأول مرة تكلمت فاطمة فقالت

- كتر خيرك يا حاجة.. لكن برضه الكلاب شبعانة بالعيش.

وقالت أم مني البلانة:

- والنبي كان راجل غلبان وف حاله.

والتقطت فاطمة الخيط لتقول:

- ولا عمره جاب في سيرة حد ولا أذى حد ولا حد اشتكي منه.

وصرخت الحاجة أم العربي:

- وهو أنا كنت قلت عليه حاجة.. أهو عندك اتجوزيه واشبعي بيه.

وقالت فاطمة بصوت هامس:

- بس يا ريته يرجع ... يا ترى فين أراضيه؟

وكانت أراضى عبد الحميد الديب هي شوارع القاهرة وحواريها يهيم على وجهه في الليالي وفي النهار يفترش عشب الحدايق العامة وينام ملء جفنيه داخل الباطو الجديد.

وذات صباح كان يسير في ميدان سيدنا الحسين حينما داهمه رجل يرتدي الملابس الريفية الفاخرة وسأله:

- مش الأستاذ عبد الحميد الديب برضه؟

- إن شاء الله.

- طيب ممكن تتكرم على وتقبل عزومتي ع الفطار...!!

وحاول الديب أن يعطي نفسه أهمية ما فقال:

- والله أفكر.

ولكن الرجل سحبه من يده ودخل به المطعم وقال له أثناء تناول الإفطار:

- أنا يا أستاذ من دراويشك وعشاق شعرك العظيم.

وبعد الإفطار ... اشترى له علبه سجائر فاخرة ودس في يده جنيهاً يدبح الفرخة، والديب في حاله ذهول من شدة كرم الرجل فسأله:

- أمال العمدة منين؟

- من المحلة الكبرى يا أستاذ.. وعاليز يبقى بينى وبينك وسيلة اتصال.

- يا ريت يا عمدة يا ريت

- افرض يا أستاذ أي ح ابعث لك جواب من المحلة الكبرى أكتب إيه على الظرف؟

- تكتب: القاهرة - عبد الحميد الديب بالباطو.

(١٦)

وفجأة ينفجر أبو الزهازة في نوبة من الضحك دون سبب واضح.

- بتضحك على إيه يا زعيم؟

- باضحك على الكبنش اللي اسمه عبد الحميد الديب.

- ليه بقه إن شاء الله؟

- إن شاء الله لأنه كان يتنفس الكذب بمناسبة وبدون مناسبة! يعني ما يتخيرش عن السامعين

- ازاي يعني

يعني كان المعروف عنه بين جميع أفراد الشلة أنه بيعاني من ضعف جنسي حاد ... ودا كان طبيعي نتيجة سوء التغذية اللي أضاف لها المرحوم كامل الشناوي "سوء التربية"!! وكان هو بينكر المسألة دي بشدة ويبردد مجموعة من الشائعات حول فحولته الجنسية المزعومة، فاقترح جليل البنداري أنهم يسلطوا عليه (...) الراقصة المشهورة في ليلة رأس السنة -وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان- وفوجئ الديب بكامل الشناوي يدعوه لقضاء ليلة رأس السنة معهم، فتوجس الديب من هذه الدعوة لأنه لم يتعود على مثل هذه الدعوات ولكنه حضر السهرة وأدهشته حرارة الترحيب بمقدمه ... خصوصاً من الراقصة

الشهيرة التي تركت الجميع وجلست بجانبه تلاطفه وتغازله وهو غارق في الارتباك. وفي غفلة من الجميع هرب الديب من الحفل فلم يعثر له كامل الشناوي على أثر إلا بعد أسبوع. حين ذهب إليه ليقرأ عليه قصيدته التي يقول مطلعها:

دع الدنيا وهات الخمر نسكر

لنا (...) تهيم به الغواني

إذا ما قام أضحى كالغضنفر

إلى آخر هذه القصيدة الرائعة التي تناقلها جميع معاصريه وتحولت إلى واحدة من كلاسيكيات الأدب العربي المكشوف، وحين سمعها كامل الشناوي كاد ينفجر من الضحك وسأله فجأة:

– أنت سرقت (...) حد وكتبت عليه ورجعته ثاني؟

وكان طلعت حرب باشا مؤسس الاقتصاد المصري الحديث يدعو كل أسبوع مجموعة من الشعراء البؤساء يقضى معهم وقتاً طيباً ثم ينفحهم ما يتيسر من خيرات الله. وفي نهاية إحدى هذه الزيارات سألهم:

– مش عايزين حاجة يا ولاد؟

فقال الشاعر مصطفى حمام؟

– أنا يا باشا عايز بدلة قديمة.

وقال عبد الحميد الأديب:

– وأنا يا باشا عايز عزبة قديمة.!

(١٧)

وكان شيخ الملحنين زكريا أحمد أو عم الشيخ زكريا (كما كان يحلو للزعيم زهدي أن يسميه) نموذجاً للفنان البوهيمي غريب الأطوار.

كنا سهرانين في بيت عزيز فهمي في انتظار عم الشيخ عشان نحفظ اللحن الجديد ونروح نقوله معاه في الإذاعة معاه ع هوا. وكانت الليلة ممطرة وشديدة البرودة، وفجأة دخل علينا عم الشيخ مبتل الملابس يحمل على رأسه "مشنة فجّل" وانفجرنا جميعاً ضاحكين فلم يتمالك نفسه وانفجر معنا في الضحك وقال:

– أنا كنت حاسب حساب كده. لكن برضه ما قدرتش؟

– ما قدرتش على إيه؟

– الولية عندها بييجي ٩٠ سنة وقاعدة ع الرصيف تحت المطرة وقدامها مشنة الفجل والشارع ما فيهوش صريخ ابن يومين. قلت لها: ما تقومي يا خالة تروحي م البرد والمطرة بدل ما تتشفي وانت قاعدة. قالت لي أروح ازاي يا بني دانا ما بعش ولا حتى بمليم.! إنت عايز المخفية مرات ابني تضربني وتبتي في الشارع؟ قلت لها: طب انتي لو جبرتي "المشنة" دي كلها تكسبي كام يا خاله؟ قالت لي ممكن يا بن أختي أكسب وحدة بخمسة ويفضل معايا نكلة أركب بيها سوارس يوصلني لحد باب البيت. قلت لها أدي الوحدة بخمسة أهه وقومي رّوحي بقي. وسبتها ومشيت. شوية وبعدين بابص لقيتها لسة قاعدة بالمشنة رجعتها وسألتها: وهيه المشنة دي فاضية بكام؟ قالتلي: وحياة سيدي إسماعيل الإمامي أي جايها من السوق بستين فضة وإن كنت يا بني با كذب عليك ولا با زود أقطع ف"أربع مفارق" ويروحوني صرة في منديل!! وانفجرنا جميعاً في الضحك.

وقال عم الشيخ: أنا مش عارف منين الولية دي جاية اللغة والمصطلحات دي؟ تصوروا أنا ما كنتش عايز أمشي من قدامها رغم المطرة اللي نازلة على دماغي. وأثناء هذه الدردشة وصل سوارس فوقفتها وركبتها وحطيت في إيدها ريال فضة وخذت المشنة بالفجل وقلت لها رّوحي. تقوم المرة بنت الأرندلي تقولني: يعني انت كده ما غلبتنيش يا ابن أختي؟!

قلت في عقل بالي: أجيب لكم البيعة على بعضها، عشان نخش جهنم جماعة إن شاء الله.

(١٨)

وكان المرحوم عزيز فهمي واحد من أبرز أفراد شلة عم الشيخ زكريا أحمد. وكان يملك صوتاً حسناً وأذناً موسيقية منحتة حق التواجد في الجوق أو الكورس الذي يردد الألحان خلف شيخ الملحنين من باب الهواية ليس إلا! وعزيز فهمي هو الابن الأكبر لعبد السلام فهمي جمعة باشا رئيس مجلس الشيوخ والعضو البارز في حزب الوفد بزعامة مصطفى النحاس باشا خليفة سعد كما يقول الوفديون.

وإلى جانب موهبة نظم الشعر التي كان يتمتع بها عزيز فهمي، فهو عضو فعال مؤثر في تنظيم الطليعة الوفدية الذي انبثق عن حزب الوفد في مواجهة زحف الارستقراطية بزعامة فؤاد باشا سراج الدين على قيادة الحزب الشيوعي الذي أفرزته ثورة ١٩١٩ العظمى بقيادة سعد زغلول وسينوت حنا وحمد الباسل وإلخ. وذات ليلة ... كان الشيخ زكريا أحمد في منزله يضع لحناً جديداً وحوله أفراد الكورس الهواة يحفظون اللحن الجديد الذي كان مطلعته:

ليه عزيز دمعي تذله

كل ساعة بين يديك

بعد صبر العمر كله

وانشغال قلبي عليك

مش حرام؟

والله حرام

وكان للشيخ زكريا طريقة محببة لحفظ وتحفيظ ألحانه الجديدة. فبدلاً من أن يقول: ليه عزيز دمعي قال: ليه عزيز فهمي تذله الخ ...

وانفجر الجميع بمن فيهم عزيز فهمي ضاحكين وظلوا يرددون المطمع هكذا إلى أن حان موعد ذهابهم لدار الإذاعة لأداء اللحن الجديد خلف الشيخ زكريا فانطلقوا إلى شارع الشرفيين حيث دار الإذاعة وأنشدوا اللحن الجديد. وأثناء عودتهم سألهم الشيخ زكريا:

- احنا يا عيال قولنا المذهب ليه عزيز دمعي ولا ليه عزيز فهمي؟؟

ولم يستطع أحد منهم أن يتذكر ... فاقتراح أبو الزهازة أن يلجأ إلى يعقوب ابن الشيخ زكريا الذي كان يستمع إليهم من الراديو مباشرة.. وعندما وصلوا إلى منزل الشيخ زكريا وجدوا يعقوب غارقاً في الضحك الهستري وهو يردد: ليه عزيز فهمي تذله.

والحديث مع وعن الزعيم زهدى العدوي لا ينتهي ... رحمة الله عليه.

* * *

على الربابة

أصلّى على النبي قبل البداية
نبي عربي مشفع في البرايا
وأسلم بالوتر والقوس عليكم
يا كل السهرانيين بالشوق معانا
يقول الشاعر المجروح فؤاده
من الأندال ومن عشق الصبايا
غرامي في الحروب يسبق سلامي
وأملّي في الشعوب يخلق غنايا
وعشقي للكلام غالب سكوتي
وكرهي للسكات جالب شقايا

يقول ابن العرب والجرح نازف
صديد الذل ودموع السبايا
ونار الغل من أيلول ويونيه
وريق المر من طعم الرزايا
رضانا بالقليل والخوف رمانا
بحكام المواكب والهفايا
وأيش بعد المسيرة التصفويه
على درب الخيانة للنهائية
وبيع الأرض بالعرض لعدوي
على عينك يا تاجر في المرايا

ويا شعب العرب يا ابن الفواربي
يا رافع للنضال ببيرق ورايه
يا واهب للزمن أيام وضيه
بنور البذل والجود والعطايا
صلاح الدين ينادي من منامته
على النابمين على دم الضحايا
لأننا منكم ولا انتو من ولادي
إذا رضيتم بغير النصر غايه
ولا غير السلاح في الحرب يحكم
ويحسم في المشاكل والقضايا

* * *

طلابيات

(١)

من اختراعات أنظمة العالم الثالث العسكرية أن تعاطي السياسة ممنوع على طلبة الجامعة بالذات ... فإذا اندهشت سيدتك وتساءلت:

- أليست السياسة علم؟

يقولون لك:

- نعم السياسة علم

وبطبيعة الحال سوف تقول بحسن نيه

- إذن كيف تحرمون العلم على طلبة العلم في دور العلم؟

فيأتيك صوت من التلفزيون:

- من العلم ما قتل!

فإذا لم تفهم، حُملت إلى مباحث أمن الدولة ليشرحوا لك هناك المسألة بحذافيرها. وفي الغالب الأعم لا يتركوك إلا وأنت فاهم أربعة وعشرون قيراط.

وتحضرني الآن عدة وقائع طلابية، سأروي لكم منها ما تيسر ...

فمثلاً في سنة ١٩٦٨ اندلعت مظاهرات الغضب من جامعات مصر المحروسة بعد صمت دام من سنة ١٩٥٤، يعني اربعتاشر سنة بالتمام والكمال ... والحمد له على كل حال.

وكان لهذه المظاهرات مجموعة من الأسباب، ولكن السبب المباشر والظاهر كان صدور الأحكام الهزلية من المحكمة العسكرية في أخطر قضية في تاريخ العرب المعاصر ألا وهي هزيمة يونيو ١٩٦٧. ولعل أوجع ما في تلك المظاهرات بالنسبة للنظام الحاكم كان هو اتهام الرئيس والزعيم الراحل جمال عبد الناصر شخصياً، حيث دوى في الشارع المصري هتاف: "لا صدقي ولا الغول ... عبد الناصر المسئول"!!!

هذا وقد جرى قمع تلك المظاهرات بوليسياً أولاً، ثم جرى تشويهاً سياسياً بعد ذلك ... حيث سارعت أبواق النظام باتهام هؤلاء "الأطفال" بأنهم عملاء!!!

ولم يستطع صوت إعلامي واحد الدفاع عن هؤلاء الأبناء ونفي تهمة الخيانة الوطنية عنهم وهم مستقبل هذا الوطن صوت واحد من الشارع هو الذي ارتفع صارخاً في وجه هذا الزيف الرسمي بقصيدة أراها من عيون شعر العامية المصرية، وكان صاحب هذا الصوت هو الشاعر (محمد جاد الرب علي) ... وكانت القصيدة هي:

يا ام المطاهر رشى الملح سبع مرات

ومع الزغروطة

أحكى حدوتة تلعب فات

الا المطاهر شافها مطاهر ... طب سكات

وبايده شرح

بنيان وسرخ

وكتب وترخ ما احناش بقرات

يا اما المطاهر

يا ام المطاهر رشى الملح وخبي عنيه

اتولد الحر في ساعة ضهر وياختى عليه
لا يطيع ولا يسمع
ولا يبصدق كذب وليه
ببيص لايوه
ويقول هووله ... ماله مغمي عليه
وحتتطق امتي يا بابا
وتقول إن احنا ف غابه
وشريعة الغابة موات
يا ام المطاهر

ومع الزغروطه
أحكى حدوتة تلعب تيه
قام سهي الكلب
وكتف ايده
كمان رجليه
ودخل لك سينا
وفين مراسينا
وحرث الفيه

فانتت سنة وأكثر
قال والعنتر بيقول ايه؟
قال ايه عصيان
وجابوا العصيان تضرب صبيان
وكنابل تملا بلدنا دخان
ماكفاهش غارات
يا ام المطاهر

أصل الحدوتة يا خاله ستوته
الواد جاي لامه
اتشحتري يا اختي
ومين بقي يقدر يوم ويلمه
وابوه قال يا ختي جي
وعمه قال كمان هايضمه
قال ابعدوا عني سيبوني أغني
وأقول يا مغني موالك مات

وان مات المغني يكون المعني التعلب فات
وان فات التعلب يبقى في ديله سبع لفات
في اللفة الواحدة بأمة موحدة ... دول ربطو لنا عشر نكسات
يا ام المطاهر رشي الملح سبع مرات.

وقد بادرت بتقديم هذه القصيدة الجميلة للمرحوم الشيخ إمام، وقمنا بتلحينها وضمها إلى إخوانها في ترسانة قصائد وأغاني
الرفض للهزيمة العسكرية في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ وأيضًا للنظام الذي أتى بها.

(٢)

في يناير سنة ١٩٧٣ قام جهاز أمن الدولة بضربة بوليسية شملت كل قيادات الحركة الطلابية في جامعات مصر
ومعاهدها، وكذلك كل الأدباء والفنانين والمتقنين المتعاطفين ولو في سرهم مع الحركة الطلابية!
وفي معتقل القلعة كدسونا في زنازين لا تصلح لإيواء الحيوانات! وفي صبيحة أحد الأيام فوجئنا بضجيج خارج الزنازين
وسمعت اسم الكريم.

- فين عم أحمد فؤاد نجم؟

احنا طلبة ثانوي يا عم أحمد والحكومة المجنونة دي اعتقلتنا.

وصرخت:

- إنت مين

- أنا أسامة

- إنتو كام واحد يا أسامة

ولكن الصوت اختفي. فقد زجوا به في إحدى زنازين عنبر القلعة! وكان لابد من إبلاغ منطقة العنبر التحتاني بما
حدث ... فكتبت هذا البلاغ:

صباح الخير على الورد اللي فتح في جناين مصر

صباح العندليب يشدى

يجمع شملهم بيكي

يتم فرحتك بيهم

بالحان السبوع يا مصر

صباح الداية واللفه

ورش الملح في الزفه

صباح يطلع بأعلامنا

من القلعة لباب النصر

سلامتك يا امه يا مهره

يا حبّاله يولآده

يا ست الكل يا طاهره

سلامتك من آلام الحيض
من الحرمان من القهره
سلامة نهدك الموضع
سلامة بطنك الخصرة
هناكي وفرحة الوالد
تضم الولد يا ولداه

يصونهم لك ويحميهم
يكثرهم يخليهم
يجمع شملهم بيكي
يتمم فرحتك بيهم

صباح الخير على ولادك
صباح الياسمين والفل
تعيشي ويفنو حسادك
ويسقوهم كاسات الذل

وبلغ يا سمير غطاس
يا ضيف المعتقل ثانوي
بصوتك ده اللي كله نحاس
صباح الخير على الثانوي

وأهلاً بيكو في القلعة
وباللي في الطريق جايين
ما دامت مصر ولاده
وفيها الطلق والعهده
حتفضل شمسها طالعه
برغم القلعة والزنازين

(٣)

بعد ثلاث سنوات تقريباً رهن الاعتقال خرجنا الشيخ إمام وأنا كما خرج أهل الكهف إلى عالم جديد عليهم. وفي هذا
الصدد قال لنا المسئول الأمني الكبير:
- خلاص ... اللي كانوا ملمومين عليكم وببشجعوكم انفرکشو. ناس في المعتقلات وناس دخلو الجحور وناس طفشوا من
البلد!!

وبعد خروجنا من مبني مباحث أمن الدولة في لاطوغلي قال لي الشيخ إمام:

- سمعت قال إيه؟

صحت وقلت له:

- ما تخلى اللي يقول يقول على رأى الأغنية.

فقال لي بصوت مرعوش:

- بس ده معناه إننا مش هنلاقي ناس نسمعهم الشغل اللي اتعمل في المعتقل.

- يا إمام يا حبيبي الشغل اللي اتعمل حصل وما حدش حيقدر يخيبه ولا يخنقه، لأن ده كائن حى زيك وزبي تمام..

والكائن الحي اتولد عشان يعيش زي الخواجة الأمريكاني ما قال عن إسرائيل أنها ولدت لتبقى، مع الفارق طبعاً في التشبيه.

وحسيت إن البقين دول كان لهم فعل السحر في نفس الشيخ إمام اللي ضحك وهو بيقول لي:

- والله يا أخي إنت غريب ومالكش حل.

قلت له:

- لا غريب ولا عجيب.. المسألة كلها إننا خرجنا من ثلاث سنين اعتقال واحنا بكامل صحتنا ومعنا أكثر من عشرين

لحن وقصيدة جداد.

ورجع الشيخ إمام تاني يقول:

- أيوه بس الكلام ده معناه أنهم خربوها مداين وجابوا عاليها وطيبها. ولا انت رأيك إيه؟

قلت له:

- أنا رأيي إنك متصور إن القيامة قامت في مصر، بينما معلوماتي بتقول إن الحياة لسة موجودة في الشوارع والبيوت

وع القهاوي.

فأكمل الشيخ إمام وهو يضحك:

- وع القهاوي وع الباربات ... جيفارامات ... واتمد حبل الدردشة والتعليقات.

وحين وصلنا إلى حوش قدم كان في استقبالنا مشهد الاحتفال باليوم الأول من شهر رمضان المبارك، وما أدراك ما شهر

رمضان في القاهرة المعز لدين الله الفاطمي، وبالتحديد في حي الحسين سيد الشهداء وابن بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم.

(٤)

كان الإفراج عن الشيخ إمام وعني يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧١ بعد اعتقال دام ثلاث سنوات تقريباً. وها نحن الآن على

مشارف عام ١٩٧٢ وقد انفض مولد المهنيين بسلامة الوصول من أراضي ما وراء الشمس. ووصفت المسألة على الشيخ

إمام ومحمد علي وكاتب هذه السطور ... ثلاثة كل واحد فيهم ينحس مدينة، وقاعدين بوزنا في بوز بعض، ونحن نعلم أن

المسئول الأمني الكبير في مكتبة بلاطوغلي مستعد لاستقبالنا زاحفين نطلب الصفح والمغفرة حتى نصل من خلاله إلى جهاز

الإعلام كما قال لنا يوم خروجنا من المعتقل:

- ما هو انتم لازم تفهموا إنكم لن تصلوا إلى جهاز الإعلام إلا من خلالي!

وكان ردى عليه يومئذ:

- لما نعوز نروح جهاز الإعلام حنجيلك.

فرد هو في منتهي الثقة:

- وأنا في انتظاركم.

وذات صباح لا ينسى، كنا نجلس ثلاثتنا صامتين حين قال محمد علي للشيخ إمام:

- ما تقوم يا راجل انت تفك العود وتسمعنا حاجة من الشغل الجديد يمكن ربنا يفرجها.

فلم انتظر رد فعل الشيخ إمام، وانزلت العود من مكانه وقمت بفك الكيس وقدمته للشيخ إمام الذي ابتسم يمكن لأول مرة منذ شهر تقريباً، وبدأ عملية الدوزنة ... ثم عزف مجموعة من التقاسيم من مقام الراست ايذانا بغناء "قيدوا شمعة"، وهي واحدة من أجمل ألحانه كنا قد أنجزناها في معتقل القناطر ويقول مطلعها:

قيدوا شمعة يا أحبه ونورولي

ومشتين من رمش عين

وبيندهولي

من هنا سكة ملامة

ومن هنا سكة ندامه

سكتين ياللا السلامة

أمشي فين يا ناس قولولي

قيدوا شمعة ونورولي

وكان الشيخ إمام قد اختار هذه الأغنية بالذات لأنها تعبير وتصوير للامتحان الذي نتعرض له الآن، ولذلك أعاد هذا المطلع ثلاث مرات دون أن يطلب منه أحد الإعادة. وأنا رأيي في الشيخ إمام أنه مثل عبد الوهاب مغني عظيم ومتفرد بينما هو ملحن كبير فحسب.

وبلغ أداء الشيخ إمام ذروته وهو يغني:

ما يا قلبي العشق بينا

ما وخال البال يلومنا

ما وقال للشوق يجينا

في الليالي يقل نومنا

بين مسانا وبين صباحنا

نصحي والناس نعسانين

موعودين بالجرح يا احنا

والدوا للموعودين

وهنا وقعت المفاجأة ...

(٥)

وكانت المفاجأة التي وقعت هي نداءات من حوض المنزل.

- يا شيخ إمام يا نجم

وحين تطلعت من مسقط المنور فوجئت بمجموعة من الشباب والفتيات وقلت.

- مين؟

- احنا

- إنتو مين؟

- احنا طلبة الجامعة

- جامعة إيه؟

وجاعنى صوت فتاة:

- تفكر احنا ممكن ننتظر كثير وسيادتك عمال تستجوبنا من فوق كده؟

وضحكت وقلت:

- اتفضلوا اطلعوا

وقلت للشيخ إمام دول شوية عيال خافس ما تعرفش الولد من البنات فيهم كلهم مضفرين شعورهم وقال الشيخ إمام:

- وتفكر دول مصريين يا أبو النجوم.

قلت له:

- إنت مش سمعتهم دلوقتي وهما يتكلموا؟

قال لي:

- فعلاً اللسان مصري لكن بقى الله أعلم بالقلوب.

ووصل الوفد الطلابي إلى قلب الحجرة التي نحن بها. وقبل أن أفكر في كيفية استقبالي لهم فوجئت بأحدهم يحتضني

وآخر يحتضن الشيخ إمام، واستمرت الأحضان حتى آخر الطابور. وقام محمد علي إلى الداخل لإعداد الشاي المتين لهذا

الجرمق الذي فوجئنا به يغني:

يا شغالين ومحرومين

يا مسلسلين رجلين وراس

خلاص خلاص

مالكوش خلاص

غير بالقنابل والرصاص

دا منطق العصر السعيد

عصر الزنوج والأمريكان

الكلمة للنار والحديد

والعدل أخرس أو جبان

صرخة جيفارا يا عبيد

في أي موطن أو مكان

ما فيش بديل

ما فيش مناص

يا تجهزوا جيش الخلاص

يا تقولوا ع العالم خلاص

وصرخ الشيخ إمام:

- يا حلاوتك يا مصر

قلت له:

- صدقتني بقى.

ثم حكينا للشباب لقاءنا بالمسئول الأمني الكبير يوم الإفراج عنا وتهديده لنا ومحاولة زرع اليأس فينا.

وقالت البننت:

- كل فنكم العظيم اللي اعتقلنوه بسببه موجود فينا لكن احنا عاوزين الجديد عشان الاعتصام.

- اعتصام إيه؟

- احنا عاملين اعتصام في الجامعة.

- إنتو مين

- احنا جماعة الثورة الفلسطينية.

وصرخ الشيخ إمام:

- الحقني يابو النجوم

وقمت أحتضنه وأنا أصرخ:

- مش قلت لك دي مصر ولاده؟

* * *

باحبك

باحبك.. باحبك
باحبك.. باحبك
باحبك.. باحبك
باحبك يا مصر
مسايا وصباحي اسبح بحبك
وحبك شفايا وجراحي ... يا مصر

وأسافر بحبك
وأميل زي ميلك
وتحلا الخطاوي
في حبك يا مصر
وأحب اغترابي
في صبحك وليلك
وأحب الونس
بالرفاقه يا مصر

تتام الدموع
في العيون الهواجع
وتسهر دموعي
في حبك يا مصر
ولو يحبسوني
ولو يشنقوني
ولو فكروا
بالعذاب يبعدوني
حاقرب
واقرب
ومش ممكن أهرب
وتنزل دموعي
على خدودي تشرب
تلاقي الرموش
والخدود والمباسم
مراسم
وصورتك عليهم يا مصر

باحبك باحبك
باحبك باحبك
باحبك باحبك
باحبك يا مصر

* * *

خليك بالبيت

المذيع المشهور زاهي وهبي التقاني في برنامجه الشهير الذي يقدمه في التلفزيون اللبناني.. وقد تعبت من يومها من تساؤلات كل من يقابلني عما قلته في هذا البرنامج ... وقد رأيت أن أخص لكم ولهم ما جاء في هذا البرنامج على لساني باختصار:

" الرئيس جمال عبد الناصر مات اغتيالاً.

"مياه النيل تلوثت فطلع مصطفى قمر وأنوشكا.

" عمر دياب يعتمد على نساء شبه عرايا للرقص في أغانيه المصورة.

"سعاد حسنى قتلت لأنها كانت مجنونة بالقوة في المخابرات المصرية في عهد رئيسها صلاح نصر، وتملك أسراراً كثيرة تتعلق بالدولة وهذا الأمر مثبت، وما نعرفه أنها مثلت دورها (الحقيقي) في فيلم "الكرنك" عن قصة نجيب محفوظ ... حيث جسدت شخصية زينب التي تغتصب وهي تنادي بلا جدوى كل فرسان الكرامة والشرف. إضافة إلى ذلك فإن الشاهدة على انحرافات صلاح نصر اعتماد خورشيد كانت قد قدمت خلال التحقيق صورة كبيرة لعمليات الاعتداء على النساء من قبل رجال السلطة الحاكمة في الستينيات، كما أشارت إلى جريمة اغتصاب الممثلة الشهيرة "س.ح" (كما جاء في مذكراتها) وتقصد سعاد حسني، التي تم تصويرها في وضع شائن. وقد ربطتني قصة حب بسعاد، ولا أزال أحبها حتى الآن. وقد أخفى صحفي قريب من جهات معنية ثلاثة شرائط كاسيت سجلتها سعاد حسني بصوتها.

"عبد الحليم حافظ تربى معي في "الملجأ" ... ثم تظاهر فيما بعد بأنه لا يعرفني.

"محمد عبد الوهاب "خرب" الموسيقى العربية باقتباسه النوتات الغربية. ولقب "موسيقار" لا يستحقه عبد الوهاب.

"محمد حسنين هيكل يبيع كلمته بالدولار ... ومن العيب أن يبيع الإنسان كلمته للإنكليز الذين احتلوا أرضه لأن الكلمة بمثابة الشرف.

"عمرو دياب ومصطفى قمر لا يغنيان ... وشعبان عبد الرحيم من بقايا عبد الوهاب.

"أنغام لا تعجبني ... فرغم موهبتها وحسها الفيروزي يلزمها الدقة أكثر في كيفية اختيار أعمالها ... فهي غبية.

"محمد الحلو ومدحت صالح وعلى الحجار وأصالة موهوبون وأصواتهم جميلة.. والدليل أنهم ليسوا نجومًا من الدرجة الأولى مثل عمرو دياب ومصطفى قمر.

"السيدة فيروز والراحبة مدرسة قائمة بحد ذاتها، قدموا اللون والروح اللبنانيين بأمانة ... وحيي لصوت فيروز يسري في دمي.

"أعشق سيد درويش ... وهو الأحق بلقب موسيقار، تمامًا مثل القصبجي والسنباطي على عكس عبد الوهاب.

"قانتن حمامة وأم كلثوم وعبد الوهاب كانوا يستطيعون سجن من يريدون ... وسيدة الشاشة -كما هو معروف - عنها هربت في الستينات من مصر إلى الخارج ثم إلى لبنان من ملاحقات رجال الاستخبارات لها، الذين أرادوها أن تعمل لحسابهم لكنها رفضت رفضًا قاطعًا، على عكس بعض الفنانات اللواتي عملن بالتجسس لحساب السلطة ... وهي لا تستحق لقب "نجمة القرن" ... وكان الأجدر أن يعطي لشادية أو لهند رستم.

* * *

كظماني

(١)

من حواديت خالتي زنوبة ... صلّوا على حضرة النبي وكمّان زيدوا النبي صلا ... كان قبلي البلد فيه دكان مزّين سنّي كل ما يمد أيده في راس زبون يقول "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم". وكان الشيطان الرجيم بيتململ من البسمة دي لدرجة أنه نوى للمزين على نيّة أسود من قرون الخروب ...

ويوم من ذات الأيام كان المزّين السنّي لسة فاتح الدكان ومستتي يستفتح، راح الشيطان داخل عليه في هيئة صنايعي لابس أبيض في أبيض وصباح الخير يا عم الحاج قال له:

– صباح النور يا ابني

قال له:

– مش عايز صنايعي يساعدك؟

– قال له يساعدني على إيه يا حسرة؟

– أدبك شايف الحال منيّل بستين نيّلة وأنا واقف أنش.

قال له:

– يا سيدى يمكن ربنا برزقك جنبي وع العموم لو الحال ما مشيش كل واحد منّا يروح لحاله ويا دار ما دخلك شر ...

السنّي بص في الصنايعي لقاه نضيف، وقلبه ما هانش عليه يطرده قام قال له:

– طيب ع الكرسي ده إنت ورزقك.

الصنايعي دخل الكرسي وبدأ ينصفه ويظبطه والسنّي وأقف يتفرج من تحت لتحت. شويتين ودخل شيطان على هيئة زبون.

– صباح الخير يا أسطى باشا

– صباح العسل يا عسل

قعد الزبون ع الكرسي وطلّع الصنايعي من شنطته فوطه نظيفة رماها على صدر الزبون وبدأ يظبط المسائل وسأله

– شعر ولا دقن؟

قال له:

– دقن بإذن الله

طلّع الصنايعي أنبوبة معجون حلاقة عبّقت المحل بريحه جميلة وفو ... فو ... كان وش الزبون غرقان معجون، وطلّع

الموس وفو ... فو ... كان وش الزبون ناعم وبيلمع زي الجزمة الأجلسية ... كل دا والسنّي واقف مذهول لكن عامل نفسه

مش شايف. وقام الزبون من ع الكرسي وسأل السنّي:

– حلاقة الذقن هنا بكام يا حاج.

قاله:

– إن شاء الله بجوز جنيهاات.

قال له:

– جوز جنيهاات إيه يا راجل يا طيب. خد خمسة جنييه عشان المحل وجوز جنيهاات إكرامية للصنايعي الجميل ده.

وخرج الزبون والسنّي مش مصدق اللي شافه. فقال للصنايعي:

– بسم الله ماشاءالله يا هنزده، ده أنت حاجة فل قوي وربنا يهديلك صنعتك. قال له:

– يا عم شيللاه يا عجز.

قال:

- لا لأعجز إياه ... بلاش تواضع ده انت معلم، وبإذن واحد أحد أنا ناوي ما افطرش فيك أبدًا.
قاله:

- ربنا ما يجيب تفريط وتأكد أنا كمان مش ممكن أسبيك إلا بالموت.

(٢)

تراحمت الأفكار واختلطت وتضاربت في الفراغ اللانهائي لرأس المزيّن السنّي - صاحب المحل - حول هذا الصنایعي اللقطة الذي هبط عليه من السماء وكأنه كنز أو -بير بترول- وبدأ يحسب ويعد ويمني النفس بالثراء الفاحش والسريع والوداع الأخير لأيام الفقر والصياغة، وأخذ يسترق نظرات الإعجاب والتمني من الصنایعي -الشيطان- والآخر شايف وعامل مش واخذ باله. وفجأة دخل شيطان على هيئة زبون محترم وجلس على الكرسي ليستقبله الصنایعي بالترحاب ويفرش على صدره الفوطه بحركة استعراضية وكأنه مثلاً فطاطري ببذل العجينة وهي لسة مفرودة والمزيّن السنّي مذهول بما يرى.

- شعر ولا دقن؟

- شعر ودقن إن شاء الله.

وقرر المزيّن السنّي إن يرى العملية دون أن يراه أحد، فتشاغل بترتيب العدة و -من تحت لتحت- رأى العجب العجائب، أخرج الصنایعي مكنة شعر عجيبه الشأن والمنظر و فو ... فو خلّص على الشعر وراح مطّلع الكريم العجيب و فو ... فو غرق وش الزبون صابون معطر وراح مطّلع الموس و فو ... فو ... ونعيمًا يا باشا. وقام الزبون في حالة نشوة وفرح جنوني وهو بيردد:

- الله الله. بسم الله ما شاء الله ... إياه الحلاقة الجميلة دي؟ وإياه الصنایعي الفنان ده؟

والنقت للسنّي وهو في قمة السعادة وسأله:

- بكام الحلاقة عندك يا مشيخة؟

وقرر السنّي -في عقل باله- عدم إفلات الفرصة فنظر إلى الصنایعي وكأنه يستأذنه قبل أن يقول:

- شعر ودقن هنا الفوزيّة معروفة، لكن علشان سيادتك بتشرفنا هنا أول مرة حناخد منك خمستاشر جنيه بس.

وصرخ الزبون الشيطان:

- خمستاشر جنيه إيه يا راجل يا أهبل إنت! إنت مش عارف قيمة نفسك ولا إيه؟

وشعر المزيّن السنّي بأن الأرض بتلف بيه وعينه بترغل فاستند على الكرسي وقال للزبون الشيطان:

- أمال سعادتك عايز تدفع كام؟

وقبل أن يجيب الزبون -الشيطان- قال السنّي:

- عموماً أجرة المزيّن دي وهبة وكل واحد بيدفع قيمته يا باشا.

فقال الزبون بلهجة أقرب إلى الاعتذار:

- عموماً أنا مش مستعد المرة دي، لكن خمسين جنيه للمحل وعشرة جنيه إكرامية للراجل اللي إيديه تتلف في حرير ده.

وجلس السنّي على الكرسي قبل أن يسقط على الأرض مختل التوازن من الدوار الذي أصابه.

(٣)

شطح الخيال بالمزيّن السنّي إلى أبعد مدى وغمرته السعادة وهو ينظر إلى الصنایعي الشيطان ويسأله:

- إنما الأسطى باشا من فين بالجودة؟

- محسوبك من كظمان غرب.!

- أنعم وأكرم ... إنما ما تأخذنيش يعني هيه كظمان غرب تبقي فين بالصلاح النبي؟ بيتهياً لي تبقي بعد بلاد الهند والسند وبلاد بتركب الأفيال!

- الله ينور عليك ... تلاقيك رحت حلقت هناك!

- الكذب خيبة يابن والدي ... أنا ما رحتش هناك من أصله إنما بيتهياً لي إني سمعت طشاش إن الحلاقة عندكم متقدمة قوي.

- أوه هوووووووه ... ما تزعلش مني لو قلت لك إن الحلاقة عندنا سابقاكو بألف سنة..!!

- ألف سنة؟ لكن ده كتير قوي.

- عموماً دلوقتي حفرجك ع الحلاقة الكظماني.

ودخل شيطان في هيئة زبون وقعد على الكرسي..

- شعر وألا دقن يا باشا؟

- شعر ودقن إن شاء الله

وراح الصنایعي مطلع من جيبه موس عجيب وقاطع رقبة الزبون وحط الدماغ ع الكومودينو وبدأ يحلق له. و فو ...
راح مركب الرأس مطرحها فقام الزبون يقول:

- يا اه ... الله إيه ده. مش معقول ... إيه يا عم العظمة دي كلها؟ بكام الحلاقة هنا يا هندزة؟

وكان السني لسه لسانه مشلول م الدهشة فرد الصنایعي الشيطان:

- هنا الجودة بالموجودة يا باشا

- خد أولاً إكراميتك ٥٠ جنيه وآدي ١٠٠ جنيه أجرة المحل واحجز لي مطرح هنا على طول. وخرج فاستعاد السني

نفسه وقال:

- إيه اللي إنت عملته ده؟ هيه دي الحلاقة الكظماني؟ صحيح علم الإنسان ما لم يعلم.

- بس لازم تعرف إن السر في الموس ده. الموس ده صناعة كظماني.

- ممكن أشوفه؟

- لأ يا حلاوة ... إلا كده! ودلوقتي أنا رايح اتغدا. عن إذنك.

- أنا مستعد أحلفك على مصحف إن عمدة البلد جاي يحلق النهار ده وعايير أحلق له كظماني.

- يا حاج اعمل معروف ما تخنقنيش. الموس ده مش موجود منه في كظمان نفسها إلا نسختين. أدبهولك والشيطان يوزك

تنام عليه، وأقعد أنا أسقف على بطاطي.

- أخص عليك يا هندزة ... ليه كده الكلام الجارح ده ...!!

(٤)

وقال الصنایعي -الشيطان- وكأنه بيشاور عقله:

- والله يا حاج أنا ما أعز عنك إلا الوحش.. بس عبارة الموس ده بالذات مش مريحاني.

- يا راجل عيب ع الدقن اللي أنا شايلاها دي.. وعيب على زبيبة الصلا اللي وأكله نص وشي. أنا برضه ممكن أنام

على أمانة مسلم؟

- ما أنا برضه بأقول كده.. إنما ليه إنت مصمم تاخذ الموس الكظماني ده بالذات؟

- ما أنا قلت لك إن عمدة البلد ميعاد حلاقتة النهاردة وعايير أعلمه مفاجأة وأحلق له كظماني.

- بس أنا أضمن منين إنك ما تدیش الموس ده لحد تاني؟

- يا جدد ربنا عرفوه بالعقل. ده باب رزق وجاء من وسع. قوم أحوّل رزقي على غيري بتاع إيه؟

- يمكن ليك واحد حبيبك صنایعي وعايير تجامله يعني.

- البلد دي ما ليش فيها حبيب. إطمن
- يعني إنت اللي هاتخلق للعمدة بإيدك الشريفة دي؟
- إن شاء الله
- كده أبقي أنا اطمنت ع الموس وعليك. وناولته الموس وخلع.
- وتصور السُني إنه استحوذ على كنوز الملك سليمان. وبيضرب بعينه لقي العمدة جاء يتدلج من أول الشارع. فقال في عقل باله والله وباضت لك في القفص يا سُني يا بن أم السُني.
- ومن باب الدعاية والإعلان زعق بعلو صوته:
- استنى يا حضرة العمدة.
- وراح جايب كرسي من جوه المحل وحطه ع الباب وقال للعمدة:
- اتفضل اقعد هنا ... واتفرج يا بلد ع الكطاني. وراح حاطط الفوطة على صدر العمدة وهو بيغني: كظماني يا واد كظماني ... والعمدة حلق كظماني!
- وراح مادد إيده بالموس وراح قاطع رقبة العمدة، وداخل بالرأس على جوه عشان يحلق لها. وصرخ الناس في الشارع وأصابهم الخوف:
- المزين دبح العمدة.. الحقونا يا خلق هو ... اندهولنا الحكومة يا جدعان. السُني قطع رقبة العمدة.
- وخرج السُني يحمل رأس العمدة عشان يركبها بعد ما حلق لها كظماني. فصرخ الناس وهجموا عليه.
- فنظر إليهم باستغراب وهو يقول بعلو صوته وبمنتهي الثقة:
- مش عايز زحام يا جماعة.. افقوا في الطابور وكلكو هاتحلقوا.
- * * *

الأدبائي

أنا الأديب الأدبائي
غايظني حال بلدياتي
وغلبيت أبوحوح وأهاتي
لكن بلدنا سمعها تقيل
الله الله يا بدوي
هات الشخايل

شرم برم والناس غافله
والغفله ع الأفهام قافله
والكذب لعلع في الحفله
وأغلب السامر مساطيل
الله الله يا بدوي
دق الشخايل

حالتنا ما تسررش إنسان
وحالنا يصعب على الغلبان
لكن يا خلق علينا لسان
لو جريناه ع الصلب يسيل
الله الله يا بلدي
يام الشماليل

السوس نخر سقف العشه
وعضمة النغمات هشه
عايزين صابونة ومقشه
وهات يا كنس وهات يا غسيل
الله الله يا بلدي
مشوارنا طويل

آدي العبارة يا متولي
وآدي الصراحة اللي تمللي
تلسع وتوجع
عرق الغضب
زلومة فيل
الله الله يا بدوي
لم الشخايل

حتة فلسفة

زي النهاردة من زمان
من كام سنه
ولا فيش لزوم
للعد أو للحسينه
أصل الحكاية عد عمر ك يا جحا
قال يوم فلس
وخمسة ستة عكننه
فلس فلس
يحيا الفلس والجدعنه

زي النهاردة الست ماما
والدتي
صرخت وقالت بالقليل
يا دهوتي
واتجمعوا نسوان حارتنا يسمعوا
صرخة قدومي ويستباركوت بطلعتي
قلة عقول طبعًا
وحركات نسونه

لأ والأكادة إن الجماعه
ماشاورونيش
ولا حد قال لي
إن كنت آجي
أو ما جيش
قال ليه وليه
بابا ياناغش والدتي
قام شيء حصل بعد المناغشة
ما يتحكيش
واين العرب في الشيء دا
آخر حرفه

ليلتها كان الحظ آخر نعنشه
وكلمتين في ضحكيتين
بعد العشا

كان القدر جاهز

مجهز خبطته

خبط عبط

شوفو العجيبة المدهشة

سنين عذاب

تعملها لحظة سلطنه

* * *

هوجو شافيز

فارس أمريكا اللاتينية النبيل الذي وجه لجورج بوش المغرور الأحمق صفعه تركت بصماتها على وجه الأملس البغيض وقدمت للعالم أجمع دليل دامغاً على أن الثور الأمريكي الهائج يمكن قهره واذلاله إذا تخطى حدوده ودس قرنه فيما لا يعنيه. فمنذ تولي "هوجو شافيز" منصب الرئاسة في جمهورية فنزويلا عقب انتخابات حقيقية، والرجل يدير سياسة بلاده لمصلحة الوطن والمواطن في كل ما يتخذ من قرارات وما يصدر من قوانين. ولأن شافيز ينتمي بالفعل إلى العالم الثالث الفقير فقد رفض نظام العولمة الذي فرضته أمريكا لتقود به العالم منفردة دون وجه حق! ثم بادر بفضح المذابح الوحشية التي ترتكبها أمريكا وأذنبها ضد الشعب الأفغاني الفقير الأعزل بحجة البحث عن أسامة بن لادن هناك!

وكان هوجو شافيز هو أول رئيس دولة يزور بغداد على أثر العدوان الأمريكي على الشعب العراقي وفرض الحصار الظالم عليه! ثم فعل نفس الشيء حين زار طرابلس بعد ضربها بالطائرات الأمريكية وفرض الحصار الظالم عليها، وهناك أعلن تضامناً ببلاده مع الثورة الليبية بصوت صكّ أسماع العالم النائم في العسل الأمريكي. وليس سرّاً أن أكثر ما أعاظ الإدارة الأمريكية من هوجو شافيز هو صداقته الحميمة لعدو أمريكا اللدود الزعيم الكوبي "فيدل كاسترو" رفيق المناضل العالمي الأسطورة "ارنستو شي جيفارا" الذي اغتالته المخابرات المركزية الأمريكية في مشهد درامي هزّ العالم في نهايات الستينات من القرن العشرين الماضي، ولكنها لم تتجح في التخلص من ذكراه وأفكاره المنتشرة بشكل سرطاني بين الشباب الأمريكي الأوربي حتى الآن وبشكل مخيف.

وكان لابد من التخلص من هوجو شافيز حتى لا يتحول إلى رمز ونموذج لنوع جديد من المناضلين في أمريكا اللاتينية ضد الإمبريالية الأمريكية التي تحاول ابتلاع العالم بعد أن خلا لها الجو بعد سقوط الإمبراطورية السوفيتية. وبدأت أمريكا تمارس لعبتها القذرة المعتادة فأشاعت عن طريق أبوابها أن هوجو شافيز يمارس سياسة معادية لمصالح شعبه الذي يذوب عشقاً في النموذج الأمريكي وبالطبع لم تعد المخابرات المركزية الحيلة في العثور على شذمة رخيصة من ضباط الجيش الفنزويلي وخططت لهم فقاموا بانقلاب عسكري بادرت أمريكا وحدها بتأييده والاعتراف به حتى تمنحه الشرعية والاستقرار. لكن الشعب الفنزويلي كان له رأي آخر فرضه بإعادة زعيمه إلى السلطة بعد ساعات قليلة من الإعلان عن عزله. وحين عاد شافيز إلى السلطة على أعناق الجماهير لم يعد خائفاً ولا نادماً على ما كان، وأكثر تصميمًا على تأصيل وترسيخ سياساته التي أغضبت البيت الأبيض ودفعته إلى تدبير وتنفيذ مؤامراته المنحطة التي كشفها وهزمها التحام شعب فنزويلا العظيم بابنه وقائده المخلص.

* * *

الربيع

يطوف الربيع
صغيرٌ بديع
وينهي المطاف
إذا العدل طاف
وشاف الجميع
يطوف الربيع

تعيش الزهور
إذا الدنيا نور
وتملا الخمايل
وتطرح موده
عدد كل ورده
وتعمل عمائل

باحبك يا بلدي
واحبك ربيع
شبابك مصحح
وجوك بديع
ونيلك موافي
يسافر بواخر
ويسقي العطاشي
شجر تمر حنه
وشجر دقن باشا

وتخضر أرضك
بطولك وعرضك
وتعلا السنايل
وتكسى الغيطان
وتشدى البلايل
وتملا الودان

يا مصر انتي جنه
ربيعك فتنا
مشاتل مشاتل

سنابل وحنه

مجرد أمني
يا قلبي يا والع
مدام انت تاني
مخضر وطالع
بلون الربيع
يطوف الربيع

* * *

الدكتور عاطف

أكد أكيد أن الدكتور عاطف عبيد شاطر في حاجة ... ماذا وإلا ما كانوش عينوه رئيس مجلس وزراء مصر المحروسة - حنة واحدة!!

شاطر في إيه؟ شاطر في إيه؟ شاطر في إيه؟ ...

غُلب حماري ...

يمكن يكون مثلاً شاطر في عملية البيع ... أو نبيه في الحسابات ومسك الدفاتر ...؟؟

يمكن ... لكن عبارات الفصاحة أو - طق الحنك - على رأي الأشقاء الشوام مالوش فيها ... ومن هنا الخوف عليه لأنه (عدم المؤاخذه) مش كانن في البيت وكافي خيره شره ... لأ دا رئيس وزراء دولة ومنش أي دولة، دي مصر المحروسة الشقيقة الكبرى لكل الدول العربية ... يعني أنفاسه بتتعد عليه وعلى كل همسة منه بتتسبب على الشعب المصري م الباب للمحارب وأنا منهم.

تيجي انت بقى يا عن الدكتور عاطف وتعمل حديث طويل مع صحيفة خليجية -وبدون مناسبة- وتأخذ راحتك في الكلام!!

طب أديك وقعت وقعة الشاطر اللي هي -اللهم اكفينا سوء- ما بعد هاش قومة ... ليه كده يا دكتور؟

مزنوق في بقين ... عندك الإعلام المصري قول فيه ما بدا لك ولا حدش ح ياخذ باله ... إنما يصطادك شيخ العرب الخليجي ويزنق عليك في مسألة الحرب دفاعاً عن الشعب الفلسطيني فيكون ردك: عايزين مصر تحارب هاتوا ميت مليار دولار!!!!

هَي بقت كده يا دكتور عاطف؟ يا عيب الشوم ... دانت على كده تبقى ما سمعتش كلمة رئيس مصر في الاحتفال بذكرى تحرير سيناء اللي حدد فيها عدد شهداء الشعب المصري بـ ١٠٠ ألف شهيد. وفي تصوري أنه أقل بكثير من الرقم الحقيقي، ولكن لنفترض أن الرقم صحيح "١٠٠ ألف شهيد" -تفتكر لو حسبناها كده يا دكتور عاطف، تبقى البيعة على بعضها بكام؟ يا عيب الشوم ...

يا دكتور عاطف إنت على عيني ورأسي رغم إنك بعت كل شيء ابتداء من شيكورييل وعدس وعمر أفندي والبقية في الطريق، لكن بس أنا عايز الفت نظر معاليك إن فيه في البلد دي أشياء ليست للبيع، وعلى راس هذه الأشياء المقدسة يأتي جيش مصر المحروسة مصنع الرجال وأبو الأبطال ... إبراهيم باشا الفاتح وعزيز باشا المصري وأحمد عبد العزيز ومحمد نجيب وجمال عبد الناصر والشهيد عبد المنعم رياض والشهيد أحمد حمدي ... وما تعدش بقى يا دكتور عاطف ده طابور طويل أوله أحبس -قاهر الهكسوس- وآخره لسه في الطريق ... دا سلسال يا دكتور عاطف، وذرية بعضها من بعض.

يا دكتور عاطف صدقني أنا مش قادر أكرهك (مش عارف ليه؟) ... ولو عايزني أحبك بلاش التصريحات اللي من النوع ده. الله لا يسينك لأن احنا اللي فينا مكفينا ...!!

* * *

شيلني وأشييك

شيلني وأشييك
دنا برضه فرحت لك
وأنا بتاعك يا بيه
وأعرف ...
ما أعرفش ليه؟

وكام عبد المعين
لابد في المسؤولين
وأنا بتاع كل حاجة
ودراعك اليمين

وهتيف الوزير
وسواق المدير
ومهماز المدام
ونبوت الغفير

وخدام السياده
وفراش العياده
واللي من غير سناده
يتعكرز على السرير

وناس بدم ساقع
واقفين ورا البراقع
بيبيعوا المبادئ
ويضيعوا الشرائع

وناس من خلف شيش
تخاف ما تختشيش
تعالى ...
لأ ما اجيش

أصل احنا شعب طيب
والطيبة فينا بلوي
تاخذنا من قريب

وتجيبنا كلمة حلوه

سامعين يا أهل البلد

ولاً انفخ في النفير

يا البنت

يا الولد

يا المجدع الكبير

عارفين ماشيين منين

والسكة السالكة فين؟

ما اطنش

* * *

حاجة تقرف

استقبل الخواجة بوش -بشرطه- ضيفه السفاح الناشئ "توني بلير" في عزبة البوايشة بولاية تكساس الأمريكية، وهذا في حد ذاته لا يعنيننا من باب "اتلم المتعوس على خايب الرجا". ولو لم يهتم التلفزيون الرائد بالموضوع ما كناش هرشنا ... لأن احنا بالذات اللي فينا مكفينا، لكن بقي نقول إيه في الفاضي اللي عامل قاضي!؟

بافتح يا خويا التلفزيون ... راح ناطط في وشي المؤتمر الصحفي تبع الخواجات بوش - بلير إخوان! ويا سبحان الله ... نقول على ملامحه بوش جاب الغباوة دي كلها منين ... بينما لو مققت شوية في خلفه السفاح الناشئ نقول خنزير وماشي ورا خنزير غبي. وتسأل المعلم الكبير يجاوب نص الإجابة، ويسيب النص الثاني لصبيه يكملها ... وكأنهم فرقة كورال حافظين النص واللحن وعاملين عليه ثلاثين بروفه على الأقل. وعلى رأي المثل الشعبي "قولة وانقسمت نصين". نفس الدم البارد والإحساس الدفين بالسعادة إزاء المجازر الوحشية التي يرتكبها مجرم الحرب "أرييل شارون" ضد أطفال ونساء وشيوخ فلسطين العرب، مسلمين ومسيحيين. وهذا في حد ذاته أجاب على سؤال الحيارى من أمثالي عن سبب حماس واندفاع بلير للمجازر التي ارتكبها بوش ضد فقراء أفغانستان: هل هي تبعية؟ أم شراكة؟. وحين توعد السفاح بوش شعب العراق بأن الدور عليه بعد أفغانستان وفلسطين، انبرى بلير يبرر هذا الجرم الوشيك.

وعند هذا الحد من المؤتمر -الشبيه بمجلس الحرب- كدت أن أتقيأ مصاريني من القرف ... فانسحبت من أمام التلفزيون ودخلت المرحاض (حاجة تقرف).

في عيد الآس

في عيد الآس
يا رب الناس
أشوف الورد متقطر
ودايب

فوق خدود الناس
تشمه النسمة تتعطر
بأنفاس الورود والناس
يا رب الناس

واشوف النيل بيتخطر
دهب سابل
نغم للناس
يصب الغنوة في العالي
يفرّج منها ميت موال
يقول عمي
يقول خالي

وينساب الربيع سلسال
أنا الياسمين
لناس باسمين
قلوبهم قل

لا نار ولا غل
ما دام عايشين
وفي البساتين

جداول قمح
بتدعي الكل
أنا الياسمين
أنا الياسمين

ويتمد البساط سندس
يشيل الحنة والنرجس
ونبدر يطلع النوار
وموال الكلام دوار
ما بين الناس يا رب الناس

ونكتب ياما ونسطر

كلام الناس

لكل الناس

وتسرى الكلمة وتعطر

نسيم بلدي عشان الناس

يشموا الورد متعطر

ودايب فوق خدود الناس

يا رب الناس

* * *

حجازى

حجازى الرسام ... فنان مصر العظيم، حاجة كده تفكر ك بابو ذر الغفاري، ما بيغلطش! ولو عايز تعاشره حنتعيب. واسألني أنا!! ما يناهز الخمسين عامًا الآن وهو من أهم رسامي الكاريكاتير العرب إن لم يكن أهمهم على الإطلاق، ومع هذا فهو بعيد كل البعد عن بؤرة الضوء الإعلامي والشهرة الاجتماعية!

صامت ... لا يجيد الكلام، وهو من أغزر الفنانين إنتاجًا وأقلهم ترفاً ورفاهية ... وأحياناً يستدين للوفاء بالتزاماته تجاه أهله البسطاء، وحين تكاثرت عليه الديون وتقلت كان أصدقاؤه يعرفون ولا يتكلمون، لأنه لا يسمح لأحد حتى من أصدقائه بالتدخل في شؤنه الخاصة. وذات يوم تجرأ أحد أصدقائه المقربين وقال له:

– وفيها إيه يا حجازي لو تسافر أي بلد عربي عشان تعمل قرشين تسدد بيهم ديونك؟؟

فأجاب على الفور:

– هي مصر مش بلد عربي؟

* * *

البلى بم بم

البلى بم بم

والبلى باه

قال لك ايه؟

قال لك آه

شربة عجيبة من تركيبة

بلدي يا بلد البلى بلى باه

قال لك ايه؟

قال لك آه

شوف يا مواطن

شوف يا أمير

واسيق شوفك بالتفكير

ناس بيقولوا السر في بير

آدي البير

وآدي غطاه

والبلى بلى بم بم

والبلى آه

قال لك ايه؟

قال لك آه

قال لك أكل الفول بيقوت

قال لك حشو المعدة يموت

قال صهين قالك فوت

كل ده كذب الناس كاشفاه

قال لك ايه قال لك آه

أي مواطن يا ولداه

زاده الفول لازم تلقاه

عنده البنكرياس بطل

والإمساك فوق الإسهال

عنده الرهقة عنده الدوخه

عنده أنيميا عنده عيال

قال لك ثم الجهل مصيبه

مولف ويا العيا تركيبه
تشرب منها تعطش ثاني
تشرب تعطش تشرب ثاني
تعطش تشرب خمسة في ستة
مية نار لو طالت جته
لازم تلحس أئمن حته
يعني المخ يا خلق الله
وآدي البير وآدي غطاه
والبللى بم بم والبللى باه
قال لك إيه قال لك آه

قال لك تصبر على المكتوب
زي ما صبر النبي أيوب
يعني تسلم للمكروب
ياخذ رزقه بفضل الله
يفضل ينحل وبرك لما
تتقسط من وسط اللمة
خايب نخب السوس في عضاك
خلاً قوايمك ما هي شايلك
ويعالجوك الناس بالصبر
مع إنك عيان بالصبر
قومك صبر
ونومك صبر
لحد القبر ... يا حول الله
وحياتك م الدار للنار
تتولف عند العطار
يسقيك الحكمة ف أشعار
ويركب م الصبر دواه
وتقربع والداء عمال
في عضام الأبعد نحال
وتخلف للبؤس عيال
وصبيه بهية يا ولداه
آدي البير
وآدى غطاه
والبللى بم بم

والبلى باه
قال لك ايه؟
قال لك آه

بعد الكشف بميكروسكوب
شفنا التوب وما تحت التوب
تشيكلة أمراض عشناها
واليكم في الآتي دواها:

وجع الرأس جنعالجه بايه؟
قال لك تدى الناس القوت
قال لك والجهل يا بيه؟
قال لك سيب الكلمة تقوت
طب والكلمة تقوت ازاي؟
قال لك لما الضلمة تموت
طب والظلمة تموت ازاي؟
قال لك لازم بالنبوت
والنبوت حنجيبه منين؟
قال لك لما نهز التوت
قال لك قدر خفنا نهز؟
قال لك نشرب صبغة يوت
حتطهر أيوب من صبره
وتفجر كيد المكبوت
وتفوق يونس من نومته
ويلفص من بطن الحوت
آدي البير وآدي غطاءه
والبلى بم بم والبلى باه
قال لك آه
وآدي وجعنا
وآدي دواه

* * *

محمد محمد محمد

في مطلع الستينات من القرن العشرين -الماضي- تشرف بيتي المتواضع بحارة حوش قدم باستقبال الأستاذ وكيل النيابة الشاعر شريف المنياوي، وكانت أوراق اعتماده التي قدمها لجمهورية القاع هي هذه القصيدة الطريفة:

محمد محمد محمد صليب!

مؤلف أغاني

وشاعر أديب

يجوز راح تقول إن اسمه غريب

ولكن

ح أفهم جنابك قوام

محمد محمد ومسلم قوي

وممكن

يهودي لئيم ملتوي

وممكن

صعيدي ومن ملوى

وممكن منوفي

وممكن مدام!

وممكن يقول للبصل ... يا قمر!

ويحلف بأن البقر على الشجر

وفارش خدوده لعالم غجر

وجاهز قفاه

لاحتمال القلام

مؤلف أغاني

ولكن بلا

وكاتب وشاعر ويلعب جلا

وله في الحياة كلها مشكلة

ملخصها كلمة

ح تدفع لي كام!

وتدفع فيكتب أدب بالطلب

تعوزه حماسي

تعوزه طرب

تعوزه فكاوي

يقول لك وجب

كأنك في مسمط بتطلب طعام

ويعرف يزمر لكل العهود
ويمسك كمنجة ويضرب بعود
ولو مصر دي يحكمها اليهود
حيصبح يهودي
وممكن حاخام

وله حاسة سادسة
تشم الميول
وحافض كويس أصول الأصول
ويعرف بطاطي
ويعرف يقول
يعيش أي حاجة!
ويضرب سلام.

رحمة الله على شريف المنيلوي ... ويا ترى لو كان عايش دلوقتي كان قال إيه؟
الهي ينكد عليكو ...

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعِيبُ فِينَا// وما لِمَ زَمَانَنَا عِيبٌ سِوَانَا
تذكرت هذا البيت ذات مرة بشدة وأنا أشاهد مدرجات إستاد القاهرة مكتظة بالجمهور المسكين ... الذي نسي ما حدث
في"مالي" للكرة المصرية التعيسة، وذهب بمحض إرادته بعد النكسة بأسبوع لمشاهدة مباراة الأهلي والمقاولون العرب في
الإستاد...!!

المباراة كانت آخر مؤجلات الأهلي في الدور الأول لدوري العاهات المريض في ذلك العام ... والذي يزداد كل عام
هزلاً ومرضاً منذ أن بدأ عام ١٩٤٨.

والذين لم يذهبوا للإستاد لسبب أو لآخر -أنا أولهم- تركوا كل شيء وأي شيء وجلسوا أمام الصندوق اللعين المعروف
باسم التليفزيون بحثاً عن المتعة التي لم يتبق لفقراء مصر غيرها في عصر"التشهير إلى حد التكفير".!!

هذا وقد صرّح الكوتش الدولي"أحمد رفعت" قبل المباراة بأن فريقه -اللي هو المقاولون -جاء إلى الإستاد من أجل
تعويض الجماهير العريضة عن خيبة"مالي"، وبالتالي إعادة الثقة المفقودة في الكرة المصرية!

وبيني وبينك أنا عن نفسي صدقت -ثاني- أنهم اجتمعوا في السر مثلاً وصلحوا الفكر المصري ... وأنهم عاملين لنا
مفاجأة تخرجنا شوية من حالة الحزن العام اللي محاصرنا من جميع الجهات -الأصلية والتقليد- ... وليه لأ؟ ما همه برضه
مصريين زي حالاتنا ... غير بس طمع النفس الإنسانية هو اللي مفرق بينا!!
قلت في عقل بالي:

- يا واد ما تبقاش سيئ الظن وحقودي وقلبك أسود واستنتي للآخر وبعدين أحكم ... مش يمكن ربنا هداهم وعرفوا أن"الكفن ما لوش جيوب" ... خصوصًا بعد ما انتخموا وحبيطلوا بقى سرقة ويشغلوا بزمة ويحاولوا يصلحوا كل حاجة بما في ذلك الكورة...!!

القصد قعدت مع كوكبة من الأصدقاء الأهلية بعد ما بُحِتْ لهم بمكنون ضميري ... وهما صدقوني فورًا! ودارت العجلة ... ونستتي يا مواطن إن احنا نشوف الكورة بعد تصليحها ... أبدًا. نفس العك ونفس الهزال والمرض واحنا قاعدين يا ولداه زي اللي مستتي السمينة من"بز" النملة ... وانتتهت المباراة بعدما أصابتنا بالاككتاب وبتنا ليلتها متتكدين ... وربنا بحق جاه النبي ينكد ع اللي منكد ع المصريين، في مجالات الحياة.
* * *

لون شعر سيادته

تصوروا الصحافة الألمانية بجلالة قدرها ووكالات الأنباء العالمية على اختلاف لغاتها ... أضف إلى هذا الكثير من القنوات الفضائية في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. كل هؤلاء مشغولون هذه الأيام بلون شعر المستشار الألماني جيرهارد شرودر!! وهل شعر سيادته البني الغامق هو نفس الشعر المولود به المستشار، أم أن ما يحمله المستشار الآن على رأسه مجرد ألياف صناعية مضروبة في الخلط لإخفاء العمر الحقيقي للمستشار عن الخصوم السياسيين، وأيضًا عن بعض السنوات اللواتي يهواهن المستشار؟!

ولم يفت خصوم المستشار السياسيون هذه الفرصة فشهرخوا به واتهموه بالكذب على الناس وعلى نفسه ... وتحولت الحملات الانتخابية التي تجرى في ألمانيا على منصب الرئاسة الآن إلى فضيحة بجلال للمستشار المتصابي الذي يكذب على الناخبين والحسنوات؟

واضطر أنصاره إلى رفع الأمر للقضاء في قضية هم أول من يعلم أنها خاسرة ... لأن المستشار بالفعل يصبغ شعره ويفرده، ربما بيفرد وجهه كمان.. ولكن أنصار المستشار الألماني ربما أرادوا برفع هذه القضية كسب بعض الوقت، وربما لتشتيت الهجوم الضاري على المستشار المفرد ذي الشعر الملون.!!

* * *

لغة شعبية؟

في مجلس حريمي نميمي ترأسته الدرة المصونة والجوهرة المكنونة الست "أم زينب" حرمننا المصون في عقر بيتي المتواضع ... تجلّت عبقرية حواء المصرية في فن النم، وأخذت النّمّامات الفاتتات تنتقل من موضوع إلى آخر برشاقة فراشات الربيع وهن في قمة الفرح والسعادة!

ولقد حاولت قدر طاقتي أن أخرج بموضوع كامل، ولكن هيهات كما يقول الإخوة النحاة، هيهات هيهات، وبمنتهى التركيز خرجت من المجلس ببعض شذرات من الحوار المتداخل فمثلاً:

قال بكرة نقعد على الحيطّة ونسمع الزيتة.

يا ختى دا بيقولوا جايب ثلاث أوض على الحديث الجديد.

وحققرشهم فين يا حسرة.

وغير الشبكة أربع تعايبين بندقي في كل إيد اتتين.

شوفي يا ختى الهبلّة ... إنت برضه بتصدقني أم منى؟ دي معارة طول عمرها.

يا ختى احنا مالنا! اهيّ هيّ اللي بتقول.

اسكتوا مش أبو صلاح الفرارجي تعيشوا انتو.

يا عيني ... لا إله إلا الله.

دا لسه صغير يا حبة عيني.

مات امتي يا أم سمر؟

خرّجته بعيد عنكم كانت امبارح.

تلاقيه مات في حادثة.

لأ دا بيقولوا جاله الله أكبر في لا مؤاخذه.

يا ولية اتقي الله حرام عليكي.

ياختي حرمت عليكي عيشتك ... يا للا خلينا في حالنا ... احنا مالنا ومال سيرة الناس. خلينا في حالنا.

* * *

مروان البرغوثي

ظروف وتوقيت عملية القبض على الزعيم الفلسطيني مروان البرغوثي تطرح مجموعة من علامات الاستفهام والتعجب سوف تجيب عنها الأيام القليلة القادمة. ولأن رائحة الخيانة تتبعث من كل الاتجاهات، فليس أمامنا سوى الانتظار، وعلى رأي المثل الشعبي المصري: يا خبر النهاردة بفلوس بكرة يبقى ببلاش. وعلى العموم كل الاحتمالات واردة بالنسبة لمصير مروان البرغوثي بعد أن سقط في يد السفاح أرييل شارون الذي يذكرني دائماً بالمثل الشعبي الذي يقول "ما تستكترش الرفس على البغل النجس".

ولن يكون مروان البرغوثي هو أول أبطال الشعب الفلسطيني ولن يكون آخرهم ... فكل نساء العالم يلدن للحياة فيما عدا المرأة الفلسطينية التي تلد للشهادة والمجد.

كل المجد لهذا الشعب المجيد ... لهذا الشعب النبيل الذي يدافع عن الحق والخير والجمال والموت، والعار لكل أعداء الحياة بقيادة الثنائي المعاصر شارون - بوش.

* * *

شكرا شارون!

تصوروا! وجدت نفسي أو ضبطت نفسي متلبساً بتوجيه الشكر لأرييل شارون سفاح القرن الحادي والعشرين الأشهر. ولقد منعت نفسي أكثر من مرة من ارتكاب هذه الحماقة... حماقة شكر شارون، لأن جرائمه كانت أفسى ألف مرة من نطاعة بعض الحكام العرب وتخاذلهم وطناشهم عما يجرى للشعب الفلسطيني الشقيق بغض النظر عن انتهاك مقدسات المسلمين والمسيحيين في المسجد الأقصى وكنيسة القيامة. فهذه أصبحت الآن مقدسات متحفية ومقدسات سياحية بعد نشوء وصعود البيت الأبيض الأمريكي في واشنطن عليه السلام.

ولأن شارون أبى ألا أن ينتزع مني الشكر والإعجاب حين قامت قواته بهدم السجن الملحق بمجمع الرئاسة الذي يسكنه الرئيس عرفات قائد الثورة الفلسطينية!

طب بذمة النبي حد كان يصدق إن الأخ أبو عمار لحق بَنَى سجن فيما يسمى بأراضي السلطة الفلسطينية...؟؟!!!!

ملايين ملايين ملايين

يا خويا ... كل كام يوم كده نقرا ونسمع عن بيع وشرا وصفقات بالملايين، وكأننا مش في مصر ...!!
يعني مثلاً يقول لك: "الزمالك يجدد للتوعم حسام وإبراهيم حسن". وفي مقدمة الخبر نقرا أن التوعم الوفي لنادي الزمالك لم يتحدث في المادة أبداً ... وأنه وقع على بياض!! وبعدين نقرا المبلغ اللي هيدفعه الزمالك للتوعم فنكتشف أنه مليون جنيه لكل "فرده" من التوعم!

وبعدين نقرا إن "مدافع المقاولون العرب رامي سعيد يرغب بشدة في اللعب للنادي الأهلي لأنه من أسرة أهلاوية ... ومش مهم المادة" ...!! ثم نفاجأ بأن النادي الأهلي دفع لنادي المقاولون العرب مليون جنيه ... ومليون جنيه أخرى لرامي سعيد الأهلاوي ابن الأسرة الأهلاوية ...!!

وبعدين نقرا إن "الأهلي يستغني عن إبراهيم سعيد اللي لسه لاهف مليون جنيه عند توقيع العقد بخلاف اللي من تحت الترابيزة" ... وأيضاً "سوف يستغني الأهلي عن سعيد عبد العزيز اللي اندفع فيه مليون جنيه عند انتقاله للأهلي من نادي غزل المحلة" ...!!

ولو فتحنا هذا الملف، فربما يصاب القارئ العزيز بأحد أمراض ضغط الدم - لا قدر الله ... لكن أنا عندي فكرة نميسة ممكن لو انتفدت بنوبنا من الحب جانب. يعني مثلاً أنا مشجع أهلاوى من عام ١٩٤٥ ... فهل من الممكن انتقل لتشجيع نادٍ آخر ولو على سبيل الإعارة مقابل خمسين ألف جنيه مثلاً؟

أنا ما عنديش مانع ... ويا أيها السماسرة العرب: مشجع أهلاوى يرغب في اللعب لنادٍ آخر، وبأسهل الشروط، خابرونا تجدوا ما يسركم ...!!

والله أكبر ويحيا الثبات على "المبلغ" ...!!

* * *

المبتزون وعمر دياب

بداية ... أنا لست من المعجبين بما يقدمه عمرو دياب تحت عنوان -الأغنية الشبابية...!! وقد أعلنت هذا الموقف أكثر من مرة في الصحافة والقنوات الفضائية العربية ... ومازلت متمسكاً بهذا الموقف حتى كتابة هذه السطور. ولكن موقعي هذا لم يمنع هذا الشاب النابه من النجاح الساحق الذي حققه في مجال عمله محلياً وعربياً، ففرض على احترامه ... لأنني أحترم الناجحين عن طريق الإخلاص في العمل في كل المجالات!

وفي الأيام الأخيرة انطلقت بعض الأقلام المشبوهة في حملة صحفية ضارية بحجة أنه هاجم عبد الحليم حافظ وأم كلثوم وغيرهما ... وهذا في ذاته نوع من التجديف ينبغي إقامة الحد على مرتكبه، كما حدث مثلاً مع الدكتور نصر حامد أبو زيد، وجاليليو وغيرهما من بني البشر الذين شقوا عصا الطاعة على المسلمات الغبية وأعلنوا عن عدم اقتناعهم بنظام القطيع. من الواضح أن الذين يهاجمون عمرو دياب ويطالبون برأسه لا يفعلون هذا من باب الدفاع عن أم كلثوم وعبد الحليم أو الحرص عما يسمونه الرموز الوطنية. ولكن المسألة مجرد ابتزاز عن طريق الإرهاب الإعلامي ... عسى أن ترتد أوصال عمرو دياب فيقوم بـ (رشة جريئة) على هؤلاء الذين حولوا القلم إلى قرن غزال - لقطع الطريق على المارة وابتزاز أموالهم ... وأنا حتى الآن أحترم إقدام عمرو دياب على الجهر برأيه فيما يسمى بالرموز، وسوف يزيد احترامي له ومساندتي إياه إذا ثبت على موقفه في وجه المبتزين وقطاع الطرق ... ولتحيا الحرية ولتسقط محاكم التفتيش.

استقبال الأبطال!

في مطار لشبونة الدولي هبطت طائرة التي عادت من المونديال بفريق البرتغال -برازيل أوروبا- بعد خروجه المهيمن من دور الـ ١٦ على يد فريق كوريا الجنوبية.

وفي بهو المطار اصطفت قوات ضخمة من الأمن البرتغالي لحماية الكابتن من بطش الجماهير، وقد نجحت هذه القوات الضخمة في منع الجماهير من الفتك بأعضاء الفريق وجهاز تدريبه ولكنها لم تستطع حمايتهم من ألسنة الجماهير الحادة. وكان يتقدم الطابور المهزوم رئيس الاتحاد البرتغالي لكرة القدم فكان نصيبه لكمة على وجهه الكريم، وصرخة في وجهه بصوت نسائي: يا قواد!

وهتفت الجماهير في وجه اللاعبين: إلى الجحيم!

يأما كان في نفسي أن يحظى منتخبنا الموكوس بقيادة الكوتش محمود الجوهري بمثل هذا الاستقبال... "استقبال الأبطال" !!...!!

* * *

إيه الحلاوة دي؟!!

إذا كان من حق الأهلاوية أن يسعدوا بالمستوى الرائع الذي بلغه فريق النادي الأهلي في المباريات الأخيرة من الدوري العام، خصوصًا مبارتي الأهلي -الزمالك، والأهلي -الإسماعيلي ... فإن جمهور الإسماعيلي من حقه بالمقابل أن يفخر بفريقه الجميل الرائع الذي يجلس حتى الآن على العرش مناصفة مع النادي الأهلي -نادي القرن- ومحتكر بطولة الدوري العام المصري منذ إنشائها سنة ١٩٤٨ تقريبًا.

لقد قام الفريقان "الأهلي والإسماعيلي" مباراة كرة قدم رفيعة للعبة الشعبية الساحرة على أرض استاد القاهرة. وأمام أكثر من ٩٠ ألف مشجع إسماعيلوى زحفوا من المدينة الجميلة إلى القاهرة خلف فريقهم الجميل الرائع. وأنا مشجع أهلاوى قديم منذ نهايات الأربعينات من القرن العشرين الماضي، وأشهد أن المباراة التي انتهت بتعادل الفريقين ٤-٤ هي واحدة من أمتع وأجمل مباريات الكرة المصرية إن لم تكن أمتعها وأجملها على الإطلاق.

وبغض النظر عن جمال الأداء ومتعة وآثار مشاهدة ثمانية أهداف جميلة تدخل شبك الفريقين، فلقد كانت متعتي الحقيقية بالروح القتالية التي تمتع بها كل لاعبي الفريقين الأساسيين والاحتياطيين التي -وهذه في رأيي- هي القمة الحقيقية لكرة القدم المصرية ...!!

لكن يبقى سؤال جوهري: إذا كان ما شاهدناه على أرض استاد القاهرة يوم الاثنين ٢٠ مايو سنة ٢٠٠٢ صناعة مصرية ... طيب أمال المنتخب الموكوس تبعا جنسيته إيه؟؟!!

* * *

وداعاً أسامة خليل

أخيراً توقف القلب الصاحب عن الشغب والاعتراض، ورحل أسامة خليل أحد قادة الانتفاضة المجيدة لطلاب مصر المحروسة في مطالع السبعينيات من القرن العشرين الماضي.

رحل الفارس النبيل تاركاً أسلاب ومغانم المعركة لغيره من الشطار ... أما هو فقد انطبقت عليه مقولة عنتر بن شداد:

هَلَا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ

إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

يَخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي

أَغَشَى الْوَعْيَ وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

ولقد فاضت روحه في مستشفى أحمد ماهر مساء يوم الاثنين ٢٩ أبريل سنة ٢٠٠٢ بعد صراع طويل مع المرض والإحباط بعد أن رأى رفاق طريق الأمس يتمترسون اليوم في مواقع الخصوم دون أن يفهم لماذا؟ لسبب بسيط جداً ... هو أنه جاء ورحل دون أن يتعلم حساب الربح والخسارة!

وداعاً أسامة خليل صديقي الذي سوف افتقد برحيله كلمة "لا" شرف الإنسان وهويته الأصلية.

وداعاً لأجمل صخب وأشرف شغب وأحلى اعتراض.

وداعاً أبو أمير ...

وداعاً يا صديقي الحبيب.

* * *

بنية

الشاعرة كريمان سالم شاعرة واعدة ... انتظروا وتذكروا هذا الاسم جيدًا ... وترقبوا صعود هذا النجم في سماء شعر
العامة المصرية حيث سيغمر ضياؤه أرض الوطن من أقصاه إلى أقصاه ... وإليكم واحدة من إبداعاتها ...

عماير ...

فوق أراضي الناس ومبنيه

وأنا لسه يا دوب قلبي بيتتهد

في بنيه

وأنا لو قلت مش ح أحلف

دا يرجع برضه للنبيه

ودايمًا قلبي يتعايق

وخايفة يسبيني وحديًا

يقول لي خلاص

مانيش قاعد

خلاص العشق فاض بيًا

ح أقول في القلب دا حكاية

وأغنيه

وأنا الغلطانة مش إنت

ومين إنت عشان تغلط

ما أنا ... إنت

لكن يا قلبي معلشي

ح أشيل الذنب في عنيا

وذنبني أني حبيبك

وحبك من حواليا

وحواليا

كتير بيعيشوا ويغنوا

عليك إنت

ومين إنت

وليه الدنيا يا حبي

بتسرق مني لياليا

وبيموت الحنين فيا

صبحت يا قلبي مش عارفه

لفين القصد والنيه

عشان الخطوة تمشيلاك

ونبقى هناك سواسيه

خضار الزرع والميه
وأنا وانت
حنبقي شهود على الفرحة
ونوفي وعود
ولا نصادف عيون جارحه
وتوعدني وأنا أوفى لك
وتسمعي وأنا أحكيك
وتبني لي وأنا ابني لك
في آخر الدنيا ...
بنيه ...

* * *

عيد عمال بحق وحقيقي

الدكتور المهندس نادر رياض صاحب ومدير شركة بافاريا ... نموذج رائع للإنسان المصري (كريم العنصريين) الذي (بني المجد بين الأهرامين) كما جاء في مسند عمنا بيرم عليه السلام ... دعاني -مشكوراً- لحضور احتفالات بافاريا بعيد العمال العالمي في إحدى قاعات دار الأوبرا المصرية. وأنا بطبيعتي ضعيف أمام أي لقاء بعمال مصر المحروسة فليبت الدعوة فوراً ودون تفكير.

وهناك رأيت عمال بافاريا وهم يحتفلون بعيدهم فوددت أن أرى كل عمال بلدي هكذا. وبدأ برنامج الحفل بفرقة الموسيقى العربية بقيادة المايسترو سليم سحاب الذي كان كريماً معي حيث طلبت إليه أن يُسمعنا شيئاً من إبداع المجدد العظيم محمد القصبجي الخالدة (ذكرياتي) التي ألهمت الأكف من التصفيق وانتزعت آهات الإعجاب والاستحسان من الصدور والحناجر، ثم التقينا بجبروت وإعجاز الإنسان المصري المتمثل في فرقة فتيات النور والأمل الكفيفات. ولست أدري حتى الآن السبب الحقيقي وراء الصمت المضروب حول هذه الفرقة "المعجزة" ذات المستوى العالمي، حسب التعبير الذي يحلو لنا أن نطلقه على أي شيء وكل شيء عندما نريد المنظرة والتعالم؟!

وإذا كانت الثقافة قد تحولت في عهد الفنان فاروق حسني وزير ثقافة مصر المحروسة إلى نوع من النشاط الاستثماري ... فلماذا لم يطبق هذا المنهج على هذه الفرقة التي لم تفلح الآلات الموسيقية الجديدة ولا -هدوم الشغل- في إخفاء حالة الضنك التي تعيشها، والتي تبدو بمنتهى الوضوح على مايسترو الفرقة الذي يعاني من الضعف الجسدي والهزال وكأنه - لم يتناول طعاماً - منذ عشر سنوات مثلاً!!

لقد كانت الليلة الأولى من ليالي شهر مايو سنة ٢٠٠٢ بالنسبة لي سياحة في المجهول الذي منحني قدراً من الدهشة كنت في مسيس الحاجة إليه ...

وشكراً يا دكتور نادر على دعوتك الكريمة التي اتاحت لي هذه السياحة المدهشة في ليلة كانت "عيد عمال بحق وحقيقي".

* * *

خلع ... يخلع

رفعت الزوجة الشابة قضية -خلع- على زوجها الشقيان. وكانت الأسباب التي دفعت الزوجة لطلب الخلع من زوجها غاية في الغرابة!

فقد زعمت الزوجة في عريضة الدعوى أن المذكور لم يكلمها منذ ثلاثة سنوات!

وأمام قاضي الأحوال الشخصية مَثَل الزوج البائس، بعد أن نادى الحاجب على اسمه وأجاب. سأله القاضي:

- أنت فلان الفلاني؟

- أي نعم يا سيادة القاضي

- الست فلانة الفلانية تدعي أنها زوجتك ... هل هذا صحيح؟

- صحيح يا سيادة القاضي

- وهي تدعي عليك بأنك لم تكلمها منذ ثلاث سنوات هل هذا صحيح أيضاً؟

- صحيح يا سيادة القاضي

فقال القاضي مندهشاً:

- ثلاث سنوات لم تكلمها!

- نعم يا سيادة القاضي

- ليه؟

فأجاب الزوج بمنتهى الهدوء

- مش مدياني فرصة يا سيادة القاضي!!

* * *

بيانات على تذكرة مسجون

الاسم: صابر
التهمة: مصري
السن: أجهل أهل عصري
رغم انسداد الشيب
ضفاير ضفاير
من شوشتي لما لتحت خصري

البشرة: قمحي
القد: رمحي
الشعر: أخشن م الدريس
لون العيون: أسود غطيس
الأنف: نافر كالحصان
الفم: ثابت في المكان ولما جيت
أزحزحه عن مطرحه كان اللي كان

المهنة: وارث عن جدودي والزمان
صنع الحضارة والنضارة والأمان
جهة الميلاد: في أي أوضة مضلمة
تحت السما على أرض مصر
من أي دار وسط النخيل
مطرح ما يجري النيل
ما دام ما يكونشي ... قصر
الحكم: من سبع تلاف سنة
وأنا راقد سجين
أطحن على ضراسي الحجر
من الضجر
أبات حزين

الإفراج: سألني سائل
حبستك طالت ... وليه؟
- لأنني طيب وابن نكتة
وابن إيه
ما فيش مخالفة ركبتها ضد القانون
لأنني خايف

والقانون سيفه في إديه
تسأل على المخبرين في أي حين
تسمع وتفهم قصتي
ألف وبه
الاسم: صابر ع البلا أيوب ... حمار
شيل الحمول من قسمتي والانتظار
أغرق في أنهار العرق طول النهار
ألم همي في المسا
وأرقد عليه
عرفت ليه؟

* * *

سمنطر

اتجه "سمنطر" صديقي القديم إلى ميدان التحرير بعد ما عمل دماغ بانجو من الوزن الثقيل. وعند مسجد عمر مكرم كان السراق يتلألأ بالكهارب ... فتوجه سمنطر نحو الأضواء وسأل أحد الواقفين:

- هو ده مولد الحسين يا بلدينا؟؟

فضك الرجل وقال لسمنطر:

سلامتك ده أربعين ميت

فقال سمنطر مندهشاً:

- حادثة بقي

- يا جدع حادثة إيه ... ده واحد ميت بقاله أربعين يوم

فقال سمنطر مندهشاً:

- ولسه ما دفنتو هوش

- يا جدع دفناه من أربعين يوم

فقال له سمنطر:

- يا اااه ... ولسه واقفين من ساعتها ...!!

وليلتها بات سمنطر في قسم قصر النيل.

* * *

صوفيات

كان الإمام عبد الوهاب الشعراني كلما مر على سيدي علي الخواص يقول له تلك العبارة بصوت مسموع: "ما اتخذ الله من ولي جاهل".!

وهو يقصد معايرة سيدي علي الخواص بأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب! وكان دائماً لا يتلقى ردًا على جملته هذه، فيمضي في حال سبيله مختلاً بالانتصار على هذا الخواص الأمي الذي يسبقه في طريق السالكين.

و ذات ليلة من ليالي الصفا أراد الإمام الشعراني أن يواقع امرأته زينب - التي تصغره بأربعين عاماً ... فتمنعت عليه من باب الدلال ... واشترطت عليه أن يحملها على ظهره ويلف بها الحجرة سبع لفات حتى يتمكن من نفسها ...!! وقد كان. وفي ضحى الجمعة ... كان الإمام الشعراني في طريقه للمسجد حين مر على سيدي علي الخواص "المكشوف عنه الحجاب ... وقال له جملته المعهودة: "ما اتخذ الله من ولي جاهل" ...

ولأول مرة يتلقى الرد الذي قاله سيدي علي الخواص دون أن يرفع بصره عن يده:

- اتخذه ... وعلمه ... يا حمار زينب.!!

بس آه يا شارون

تصدق وتؤمن بكام؟ على افتراض أنك بني آدم بتشوف وتسمع وتفهم وتحس ... عارف إيه اللي حايشني عنك؟ أوعى تفكر أن أنا مؤدب ومترربي وباختشي العيبة لأن العيب في زمن العيب ما يبقاش عيب، يا قتال القتلا يا عدو الزهور والأطفال يا عاهة مستديمة يا رقعة في توب الحيا ... أدمنت قتل الأطفال وقلنا مريض وافراز كيان مريض والزمن كفيل بأمثاله ومدد يا سيدي عبد الرحمن نقصف لنا عمره على وجه السرعة ...

وسيدي عبد الرحمن هو عزرائيل الموت اللي اتاخر عليك (يمكن لحكمة إلهية واللهم لا اعتراض) ... لكن يبلغ بيك الفجر إنك تعرض حضور مؤتمر القمة العربي بالنيابة عن (أبو عمار)؟

لدرجة دي إنت بتتمهزأ بيها؟ ولا الكلام دا صحيح واحنا اللي نايمين في العسل؟

ما تفهمنا يا شارون وتخليك بني آدم ولو لمدة خمس ثواني من عمرك الرذل ... إنت فعلاً كنت عايز تحضر مؤتمر قمة بيروت؟ ولا ده نوع من كيد النسا؟؟!!

تعرف؟ أنا كنت محضر لك بقين يليقوا بمقامك ...

بس آه ... لو ما كانتش الرقابة هاتمنعني بحجة عدم خدش الحياء العام.

* * *

مش عايز أفهم

يا ترى يا هلترى هل الناس كلها "ضربت" من حيل اللي بنشوفه في هذا الزمن المدوحس؟! ولا أنا اللي اتخلفت عن الركب وما بقيتش فاهم لغة هذا العصر، زي فتية أهل الكهف الوارد ذكرهم في القرآن الكريم وفي مسرحيات توفيق الحكيم؟

قاعد في أمان الله ولسه بأقول يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم ... وإذ بالسيدة حرمننا المصون تفتح التلفزيون عشان

المسلسل ... فيطلع في وشها المحاور التلفزيوني الشهير، مستضاف في برنامج على القناة الأولى ...!!

وسألته المذبة - صاحبة المطرح - عن رأيه في الشهيدة الفلسطينية "آيات الأخرس" التي فجرت شبابها وجسدها في لحظة

تاريخية دفاعاً منها عن الأرض والعرض والشرف العربي المسفوح ... فأخذ الضيف نفساً طويلاً وعميقاً قبل أن يقول:

- يااااه يا منى ... أهو إنتي دلوقتي فكرتني بحليم!!

فسألت أم زينب:

- حليم مين؟

فنهزنتني قائلة:

- يا أخي اسمع.

أتأريه بسلامته بيتكلم عن صديقه العندليب الأسمر الراحل عبد الحليم حافظ ...!!

وعدت أسأل أم زينب:

- لكن إيه علاقة حليم بأيات الأخرس؟

قالت لي بقرف:

- ما هو أنت لو تسمع حتقهم.

وسمعت ...

- آه لو كان حليم موجود دلوقتي يا منى

وقالت منى:

- طبعًا طبعًا

- ما كنش اللي بيحصل ده بيحصل ... لكن تقولي إيه بقى للزمن؟

وتجاسرت وسألت بصوتٍ عالي:

- هو فيه إيه يا أم زينب ... أنا مش فاهم حاجة خالص!! إيه اللي لم الشامي على المغربي؟

وأجابتنني أم زينب بقرف:

- ما هو انت لو بتقعد قدام التلفزيون زي مخاليق ربنا كنت فهمت وعلى الفور غادرت المطرح وأنا أقول بصوت

مسموع:

- يفتح الله ... مش عايز أفهم.

* * *

السبوبة بالشيء

هل كان شاعر العرب الأعظم أبو الطيب المتنبي يعنيانا الآن ... عندما قال جملته الخالدة: "مصائب قوم عند قوم فوائد؟"

راودني هذا السؤال وأنا أستمع للمطرب إياه وهو يغني للقدس وكأنها فينسيا أو مونت كارلو!!

إنن لقد دخل التلفزيون الرائد إلى معمعان المعركة على نهج المرحوم أحمد سعيد ... ولكن بالنسخة الشبابية المنقحة! وقبل أن أستمكمل دهشتي داهمني المطرب "المرخوخ" بأغنية أخرى لم أفهم منها إلا كلمة القدس. وتبعه الحج محمد منير بعد التعديل ... وكنت قد قرأت أنه بعد عودته من الأراضي الحجازية يعد أغنية دينية يؤكد بها توبته وعودته لحظيرة الإيمان! (فقلت في عقل بالي) مرحى مرحى أو بخ بخ ... أو شيء من هذا القبيل.

وحين قرأت اسم كوثر مصطفى كمؤلفة استبشرت خيرًا ... لأنها أحيانًا تأتي بجملته غير مسبوقة، وأنا أحب هذا النوع من الكتابة. ثم بدأ الحاج محمد يقول: مدد مدد مدد ... مدد يا رسول الله. وهي عبارة خارج النص لأنها مستعملة وشائعة منذ مئات السنين. وانتظرت جديد كوثر مصطفى كما يفعل البعض حين يأخذون المطلاع الفلكوري ويغزلون عليه الكوبليهات ... وكانوا أحيانًا يحالفهم التوفيق كما هو الحال مثلاً في أغنية مجدى نجيب الرائعة (غاب القمر يا بن عمي) التي لحنها الموجي للرائعة -شادية- فحولتها إلى قطعة ثمينة من الموروث الغنائي الخالد لشعب مصر المحروسة.

قول يا عم الحاج منير ... وإذا بعم الحاج لاطش أنشودة موالد قديمة كان مطلعها:

أقسمت بالفجر

والليل إذ يسرى

يا طلعة البدر

عليك صلى الله

وهي من التراث الصوفي المصري ... ولكن لأن لا الحاج محمد ولا الحاجة كوثر لهما علاقة بالتراث الصوفي، فقد
وقعا في خطأ ساذج ومضحك لأنهما يقولان في أحد الكوبيهات

أقسمت بالحاميم

وبسورة التحريم

أنّي صبحت سقيم

في حب رسول الله

وصحتها يا حجاج:

أقسمت بالحواميم

وبسورة التحريم

أنّي غدوت سقيم

في حب رسول الله ...!!

نرجع بقى لمولد سيدي القدس ... اللي ناصبه التلفزيون الرائد من باب (السبوبة) بالشيء ... حتى لو كان هذا الشيء هو
المجازر التي يقيمها مجرم الحرب السفاح (شارون) بمباركة ومساعدة قتال القتلى السفاح (بوش المنقح) ... صدقوني لو كان
المتنبى لسه عايش كان قال:

"مجازر قوم عند قوم فوائد" ...!!

* * *

اللي فاهم يفهمني

في إحدى مباريات الدوري عام ٢٠٠٢، التقى فريقا الزمالك والإسماعيلي في مباراة جميلة انتهت بفوز دراوي الإسماعيلي على عتالة ميت عقبة ٤-٣. تصور سيداتك سبعة أهداف جميلة تضمنتها مباراة واحدة من مباريات الدوري المصري منخفض التكاليف والمستوى!

ثم توج هذا العرض الجميل بتخصيص دخل المباراة لأسر ضحايا قطار الصعيد الذي لا بد أنكم تذكرونه.

وهذا سلوك ليس غريباً على شعب المحروسة ...

لكن الغريب بالفعل هو الزج باسم الأستاذ إبراهيم سعده رئيس تحرير ورئيس مجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم! حيث أعلنوا أن المباراة تحت رعاية الكاتب الكبير إبراهيم سعده! وقال مذيع المباراة أن "هذا هو إبراهيم سعده"! بينما ركز مخرج المباراة على مجلس الأستاذ إبراهيم سعده في المقصورة!

وحتى الآن أنا مش فاهم ... هوّ فيه إيه؟؟

هل مثلاً تبرع إبراهيم سعده بمبلغ مليون جنيه من جيبه الخاص لأسر الضحايا؟ طبعاً ما حصلش ...

هل بادرت مؤسسة أخبار اليوم وهي من أملاك الأستاذ إبراهيم سعده بتعيين عدد من أبناء ضحايا القطار؟ برضه طبعاً

لا ...

طيب أmaal إيه اللي حشر إبراهيم سعده في ماتش كورة؟؟

اللي فاهم يفهمني لأنني بصراحة ربنا ... غبي

* * *

شعب فلسطين المقاتل

أمشير على نجعنا
والريح بتصفّر صفر
كل الدروب صفصفت
ما في حدا في الكفر
غيرك يا عود الزان
يا طرحة الأحزان
جلبي عليك انشغف
ونا جلبي دا خزان
فيه الرفافة العزاز
بستان وضليله
ونصل خنجر خيانه
غوط في ذات ليله
وفيه صبايا حلالك
يا واحد العيله
خافين عليك تتكسر
ونجدد الأحزان

يا بطل العالم
يا شعب فلسطين

* * *

طظ ... يا عاشور

تراث طويل من اللوع ولعبة"حاوريني يا طبطه"و"ودنك منين يا جحا" ... تلك هي العلاقة بين الشعب المصري وبين
سائر الحكومات التي تعاقبت عليه منذ إنشاء أول وأقدم دولة في أحضان النهر الخالد ... هنا على أرض مصر المحروسة التي
هي (كنانة الله في أرضه ومن أرادها بسوء قصمه الله ...) !!...

فمن جانب ... ترى جميع الحكومات ومنذ كهنة آمون أن هذا الشعب شعب لبط ولئيم وصاحب طرق جهنمية في تدكين
المصارى وادعاء الفقر والاستهبال ...!! ومن جانب آخر ... يرى الشعب المصري أن الحكومة والبلهارسيا والجراد الأصفر
ودودة القطن هم ألد أعدائه من باب (يا واخذ قوتي يا ناوي على موتي) ...!!

وانطلاقاً من هذه الرؤية ... صاغ الفلاح المصري الفصيح أمثاله الشعبية الخالدة مثل (إن كان دراعك عسكري ...
اقتطعه) و (الأيد اللي ما تقدرش على قطعها بوسها) و (إن حكمتك النذل طيعه ... وأن حكمته أدبه) و (اللي يجوز أمني ... يا
عمي) ... إلى آخر هذه السلسلة التي لا تنتهي من الحكم والمواعظ والإرشادات التي يلقيها فلاح النيل لطفله وهو في المهد حتى
يعرف كيف يواجه ويتعامل مع هؤلاء الأفندية اللصوص الذين لا يشبعون ولا يتوقفون عن اختراع واستحداث الحيل والألاعيب
الشیطانية لابتنزازه وشفط عرقه الذي لا يحف.

ولقد كانت لعبة ضريبة المبيعات لصاحبها ومهندسها المدعو محمد بك الرزاز هي آخر الحلقات في سلسلة"طلع اللي في
جيبك وصلي ع النبي" ... ولقد كان الاستعمار التركي صاحب باع طويل في لعبة ابتزاز شعب مصر وتنظيف جيوبه، حتى

أنهم فرضوا الضرائب والإتاوات على كل شيء ... بما في ذلك الجلابيب والطواقي والنبُغ وجميع أنواع المداسات! ووضعوا الكمان واللجان على جميع أبواب القاهرة لتحصيل الضرائب و"المكوس" من الداخلين إلى المدينة والخارجين منها! ولا يعرف أحد حتى الآن: لماذا استثنى الجبابة الأتراك ملح الطعام فقط من الضرائب والإتاوات والمكوس؟! ولكن الشعب المصري -كعاداته- عرف كيف يستفيد من هذا الاستثناء فاختار اغلظ الجبابة وأغباهم ... وكان اسمه عاشور، وكان يقف على بوابة رئيسية من بوابات القاهرة، ويمارس معه وعليه لؤم الفلاح المصري ... فكان المارة يملئون أوعيتهم بالبضائع المختلفة ويضعون فوقها طبقة من الملح. ولأن الملح بالتركية اسمه -طظ- فقد ركب المصريون جملتهم الخالدة "طظ يا عاشور" يقولها أحدهم وهو يتجه بحمله إلى الجابي الغليظ: طظ يا عاشور...!!

فيقول الجابي التركي: آمان آمان ... عدى أفندم.

* * *

"سيادتك عمري"

كانت الأغنية الشهيرة -أنت عمري- هي اللقاء الأول بين عبد الوهاب الذي تحول إلى ملحن -بفعل السن- بعد أن نافس أم كلثوم كمطرب ما يقرب من أربعين عامًا، كان خلالها أعظم مطرب عربي في العصر الحديث. وكان هذا اللقاء الذي تم بناءً على رغبة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد حظى بضجة إعلامية لم يحظ بها مشروع السد العالي نفسه! وقد أطلق المرحوم جليل البنداري على هذا اللقاء مجموعة من الأوصاف والأسماء كان أهمها (لقاء السحاب).

وكانت ليلة إذاعة هذه الأغنية للمرة الأولى مهرجاناً عربياً للفرح ... حتى أن إذاعة صوت العرب بقيادة أحمد سعيد الشهير نزلت بميكروفوناتاها إلى الشارع عقب انتهاء الأغنية تسأل الناس عن رأيهم في هذا الإنجاز الحضاري، الذي لا يقل - إن لم يزد- على تحرير بيت المقدس على يد الناصر صلاح الدين!

وفي خضم هذه الحمى الإعلامية لم ينس الشعب المصري نفسه ولم ينسحق كما أريد له يومها ... فأطلق مجموعة من النكات كانت أهمها في رأيي النكتة التي تقول:

"أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يسهر في بيته أثناء إذاعة حفلة أم كلثوم مع مجموعة من الوزراء، وبعد انتهاء الوصلة الأولى استغرقوا في عملية تخمين عن الأغنية التي سوف تقدمها أم كلثوم في الوصلة الثانية، واتصل الرئيس بأحد عناصر المخابرات الموجود بالحفل وقال له: اسأل أم كلثوم قول لها الرئيس عايز يعرف حقولي إيه في الوصلة الثانية. فقال العنصر: ثواني يا فندم.

وبعد دقيقة واحدة جاء صوته في التليفون: ألو يا فندم ... حتغني "سيادتك عمري" إن شاء الله ...!!

وفي هذه الأثناء قدمت أم كلثوم ثلاث أغنيات لثلاثة شعراء آخرين وثلاثة ملحنين ... ولكن ضجة أنت عمري الإعلامية أكلتهم جميعاً، مع أنهم فنياً أحسن من "أنت عمري". وهذه الأغاني هي "هو صحيح الهوى غلاب" لبيرم التونسي وزكريا أحمد و"للصبر حدود" لعبد الوهاب محمد ومحمد الموجي و"كل ليلة وكل يوم" لمأمون الشناوي وبليل حمدي. وكان بليغ حمدي أكثرهم تبرماً من هذا الانحياز الإعلامي لعبد الوهاب وأغنيته -أنت عمري، وكان يرى أنها كتبت خصيصاً لهذه المناسبة ويستشهد بالجزء الذي يقول في مطلعها:

اللي شفته قبل ما تشوفك عنيّه

عمر ضايح يحسبوه ازاي علىّ

أنت عمري اللي ابتدا بنورك صباحه

على أساس أن الضمير هنا عائد على عبد الوهاب على لسان أم كلثوم!! وبليغ حمدي كما يقول سمير خفاجة "كان ماشي يدلوق مزينة" ...

والبعض وأنا منهم يعتبره أخطر ملحن ظهر بعد سيد درويش والقصبجي ...

وكان الأخير رحمه الله يقول لأصدقائه المقربين:

- أنا مستني لما يموت عبد الوهاب عشان أقدم للشعب العربي عبقرى الموسيقى العربية ...!!
لكنه مات قبل عبد الوهاب ... مات وهو في عمر الزهور كما يفعل العباقرة من قديم الزمان.

* * *

أم السيد عوض

من قصيدة للشاعر العزيز الراحل زكي عمر كتبها في أمه:

ما كانتش تحب اللون

الباهت

ما كانتش تحب المية الفاتره

وكانت

لما بتكره

تكره موت

وأما تحب

تحب صبابه

وأما بتحزن

تبقى ربابه

وأما بتفرح

يبقى الفرع على البوابه

كانت زي الشمس

وكانت

لما يتغضب

تبقى مهابه

رحمة الله وبركاته على شاعر الفلاحين زكي عمر الذي مات في الغربة خارج الوطن وترك أهله وأحبائه يعيشون الغربة داخل الوطن!

* * *

أدب الحديث

البرجوازية التي تحكم الوطن العربي وتتحكم في مصائر أهله، طبقة تخاف ماتختيشيش.

يعني مثلاً سنة ١٩٤٨ كانت بتقول ع الكيان الصهيوني "إسرائيل المزعومة" من باب السخرية ... لكن بمرور الوقت بدأت تغير نظرتها ولهجتها عندما تخاطب هذا الكيان العنصري فيقول بعض الرؤساء العرب عنه "الشعب الإسرائيلي"! وكان السادات يقول عنه "الشعب الإسرائيلي الصديق"! ويسمى السفاح بيجن "صديقي مناحم" من باب الاحترام والإعتراف ...

وبالأمس القريب ... وتعليقاً على المذابح الوحشية التي ترتكب ضد الشعب الفلسطيني وخصوصاً النساء والأطفال قال الدكتور فتحي سرور لرئيس مجلس الشعب المصري الهمام:

"إن الانتهاكات (يعني المذابح) التي تمارسها إسرائيل سوف تأخذ المنطقة إلى منزلق خطير! وأنا بصراحة تصورت أن "منزلق خطير" ده عبارة عن مصيف أو منطقة استشفاء أو سياحة أو شيء من هذا القبيل، أتاري المسألة أن ده من أنواع أدب الحديث!

شفتوا المنزلق الخطير اللي احنا بقينا فيه!!

* * *

مين يحمى مين من مين؟

عندما عاد الكابتن أبو الكباتن محمود الجوهرى من غزوته الفاشلة في "مالي" في حراسة الشرطة! لم يهز هذا المشهد بالطبع شعرة في بدن الكوتش المزمّن ...

لكن بصراحة أنا اللي كنت ح أطرشق من هذا المشهد الاستفزازي، وفضلت أضرب أخماس في أسداس وأقول:

- يا ترى يا هتلى هل حرس المطار قاسمين معاه الوزه؟

لكني على الفور استبعدت هذا الخاطر الجنوني ... ولكن حل محله خاطر أكثر جنونا لخصته في سؤال فني:

- هل انشياء جهاز الشرطة في مصر المحروسة من أجل حماية الناس من اللصوص والأفقيين ... أم أن العكس هو

الصحيح؟

وحتى أتوصل إلى إجابة شافية على هذا السؤال ... لن أكف عن ترديد "حسبى الله ونعم الوكيل".

* * *

كنت في لبنان وطن المعجزات!

أي والله وطن المعجزات أو صانع المعجزات ... أو معجزة المعجزات ... فهذا الوطن المتناهي في الصغر والجمال هو نفسه هذا النمر العربي الذي أذاق الوحش الصهيوني المفترس وجع الهزيمة وعار الفرار!
كنت في لبنان ... فماذا أقول لكم عن لبنان؟

هناك في لبنان صبرا وشاتيلا وقانا وحزب الله والحركة الوطنية والسيد حسن نصر الله وفيروز الجميلة وطفلها العبقري الرائع زياد الرحباني ... هناك جنوب المقاتل العربي الصامد ... هناك بيروت التي انتصبت واقفة بعد الدمار الشامل لتنتزع الصدارة والريادة في الفكر والثقافة والإبداع لأن الحرب الأهلية الشرسة والطويلة التي انتزعت من الإنسان اللبناني بيته وأسرته وأحياناً روحه لكنها لم تستطع ولن تستطيع أن تنتزع منه عشقه للحرية واستقلال الرأي فيما يحدث حوله ... ليس في لبنان فقط وإنما في هذا الكوكب الذي نسكنه.

هذه هي التركيبة السحرية للإنسان اللبناني المسيحي والمسلم على حدٍ سواء ... ولهذا يقف لبنان الصغير - الكبير - وحده في وجه الهمجية الصهيونية والصلف الأمريكي ... ويقول بالعربي الفصيح "لا" ... بينما تهزول باقي القبائل من أقصى الوطن إلى أقصاه متسابقة في السجود المهين بين يدي السفاح الصهيوني والبلطجي الأمريكي لتتال بعض الرضا وفضلة الأمان.

* * *

مع العظماء والراجلين

صلاح جاهين -الطفل الإلهي متعدد المواهب- وصلاح منصور أحد أهرامات السينما المصرية الخالدين. وصلاح أبو سيف- الأستاذ رائد الواقعية وامتداد كمال سليم في السينما العربية - وسناء جميل العظيمة الرائعة وسعاد حسنى- هبة السماء وسندريلا الشاشة المصرية الجميلة- وغيرهم وغيرهم ... كل هؤلاء يحتويهم عمل فني واحد عظيم وفريد وهو فيلم -الزوجة الثانية- الذي أذاعه تليفزيون مصر العربية والناس نيام ... صبيحة يوم الاثنين ٢٤ يونيو سنة ٢٠٠٢، والسبب هو مرور عام على الرحيل المفاجئ والمشبوه لسندريلا السينما سعاد حسنى ... وأنا لن أناقش هنا سوء اختيار موعد إذاعة الفيلم، فهذه بديهيات تعودناها من السادة القائمين على شئون الإعلام المصري حيال كل الأعمال العظيمة والقيمة، وكأنهم يعتبرونها - عورة- لا ينبغي أن يراها العامة خوفاً على الحياء العام ... أو كأنهم على رأي عم عيد الغفير (ولاد حرام ... لا بيرحموا ولا بيسيوا رحمة ربنا تنزل).

والمسألة الجديرة بالاهتمام هي أنه منذ رحيل الكبار الذين صنعوا كلاسيكيات الفن المصري في الشعر والمسرح والموسيقى والسينما والغناء والفنون التشكيلية، لم تلد مصر المحروسة إلا أقزاماً...!!

تصوروا المشهد العام ... وكأننا في بلاد الإسكيمو!!

ويختتم الفيلم العظيم -الزوجة الثانية- صوت الشاعر الشعبي من خلال صندوق الدنيا:

دنيا وفيها من كل شيء

وكل من جاها مشى

رحمة الله وبركاته على مبدعينا العظام الراحلين.

* * *

إلى روح السندريلا الجميلة

خلي زوزو من بالك
مش هاتصفي وتهنا لك
خلي زوزو من بالك

خلي بالك من زوزو
الزمن لو لوى بوزه
خلي بالك من زوزو

تلنتقي زبطة ولمه
واشتكيت أي ملمة

لما توصل للقمه
ولا لو كان ليك همه

الجميع هيقول مالك

خلي زوزو من بالك
تلقي جانبك أحبابك
يطلبوا ود جنابك

خلي بالك من زوزو
وأنت هايص في شبابك
والجميع يبقوا أصحابك

والسؤال عن
أحوالك

خلي زوزو من بالك
وانت عايش على
الكفيار

خلي بالك من زوزو
ولا زملاءك في الكار

بدعي ليك بالاستقرار

يملوا بيتك ليل ونهار

والإله يبسطها لك

خلي زوزو من بالك
كله يجري ويتحنجل
واللي طالب يستعجل

خلي بالك من زوزو
طول ما حسك بيجلجل
كله يسهر وينفجل

المزيد من أموالك

خلي زوزو من بالك
ولأ حظك يوم خاتك
اللي عاشوا في
أحضانك

خلي بالك من زوزو
أما لو عدى زمانك
شوف بقى فين إخوانك

والمصايب جبالك

خلي زوزو من بالك
وبسيبوك وحدك مدبوح
والخيانة ... أشد جروح

خلي بالك من زوزو
كله ها يفلسع ويروح
للأسى والبكى والنوح

تتحسب في اللي
جرالك

خلي زوزو من بالك
والحياة تخلص وتقوت
والصور تطلع مظبوت

خلي بالك من زوزو
بس بختك لما تموت
كله يرقطك بالصوت

والجميع ينشر هالك

خلي زوزو من بالك
أي شارع هانسميه
ربنا يفتحها عليه

خلي بالك من زوزو
أما اسمك ... أكرم بيه
ولا شاعر زي كريبه

والقصيد يكتبهالك

خلي زوزو من بالك
مش هاتصفي وتهنالك

خلي بالك من زوزو
الزمن لو لوى بوزه

* * *

فسحة الدورة

من وسائل التعذيب النفسي التي مارسوها علينا في سجون ومعتقلات مصر المحروسة ... وضعنا في زنازين لا تصلح لسكنى الحيوانات، مغلقة ٢٢ ساعة كل أربع وعشرين ساعة لا نخرج منها إلا نصف ساعة صباحًا ونصف ساعة مساءً من أجل قضاء الحاجة ...!!

وتسمى هذه الفترة الزمنية الخاطفة "فسحة الدورة". والدورة هي الدبليو سى" أو - عدم المؤاخذه -المرحاض أو الكنيف أو بيت الراحة أو محل الأدب ... إلى آخر هذه التسميات الشعبية لهذا المكان الضروري والخصوصي.

وإذا كانت الأنظمة البوليسية على امتداد الوطن العربي السعيد صاحبة تراث عريق في الإجرام ... فإن السلطة الوطنية بقيادة أبو عمار قد استحدثت كل ما هو جديد وعجيب من وسائل القمع ضد العناصر الوطنية في صفوف الشعب الفلسطيني. والمؤسف في الأمر أن ثمانين في المائة من حجم القمع الذي مارسته سلطة عرفات الوطنية على الوطنيين الفلسطينيين كان استرضاءً للسفاح شارون قاتل الأطفال والزهور!

ودارت الأيام، ومرت الأيام ... على رأى المرحوم مأمون الشنلوي، وذاق الرئيس عرفات ما أذاقه العسس الوطني الفلسطيني لأشرف العناصر الوطنية، لا شيء إلا لمجرد إثبات حسن النية للعدو الصهيوني مغتصب الأرض والعرض والتاريخ لعله يرضى!!

وليس عجباً أن تترف الصحافة الرسمية للمواطن العربي بشرى السماح لعرفات بفسحة الدورة التي يستطيع من خلالها التجول في رام الله كما كنا نتجول في حوش السجن أثناء فسحة الدورة ... ولكن الكرم الصهيوني زاد على فسحة الدورة العربية أن سمح لعرفات بحضور مؤتمر القمة العربية في لبنان على شرط أن يحصل على إذن مكتوب من مكتب السفاح شارون!!

ليس عجباً أن تنتشر هذه الصحافة الصفراء المفلسة مثل هذا الهراء على أنه انتصار جديد لسياسة فرش الخدود التي تمارسها بعض الأنظمة العربية تحت أذى اليهود والأمريكان ... ولكن العجيب بالفعل هو أننا مصممون على عقد ما يسمى بمؤتمرات القمة أثناء فسحة الدورة!!

الحارس الله

الموال الشعبي يقول

لا بأسهر ارتاح

لا بانعس يجيني نوم

ولا أكل بأكل

ولا لي جلد ع الصوم!

وده لسان حال عاشق صباية جت له -لطشة هوى- طيرت النوم من عينه وشحتفت قلبه وشقبت حاله يا ولداه. ما بقاش عارف خالته من جوز عمته، وما بقاش عارف الـ"ألف من كوز الدرة" ... ولا" الحنة الفتلى ... بكام الرطل"!! والكلام ده طبعاً كان زمان ... أيام ما كانت العروق فيها دم ... وكان الدم مش فيه، وكان الشرف قيمة وكان الوطن قرآن وإنجيل وزبور وتورا. وكان العمر واحد والرب واحد، وابن يوم ما يعيش يومين، وتجري يا ابن آدم جري الوحوش غير رزقك يا ابن آدم لم تحوش.

دلوقتي خلاص ... تقول له: صباح الخير، يقول لك: بكام؟ تقول له: فلسطين؟ يقول لك: خرينا هنا! تقول له: انت مش عربي؟ يقول لك: أنا موافق على أي شيء يحدث في هذا الكون! تقول له: وانتماءك؟ يقول لك: وانت مالك! تقوله: أنا وأخويا على ابن عمي. يقول لك: وأنا وابن عمي على فيض الكريم!

أعمى بصر وبصيره ما بيشوفش غير الغرب مع أنه لو شرق شوية بنظره حيشوف العجب ... ملاحم بطولة وأنهار دم
بتسقى ... بيارات الزيتون في فلسطين السليبية، الأطفال كل يوم في مواكب الشهداء والنسوان كل يوم بيولدوا شهداء من جديد!
الله عليك يا شعب فلسطين يا صانع الحياة في أصعب وأقسى الظروف ... يا صديق الخضرة في عالم متصحر من
أقصاه إلى أقصاه ... المجد لك والنصر لك والموت والعار لأعداء الحياة ...
والحارس الله والصلوات على النبي

* * *

شوف يا ابن والدي ...

شوف يا ابن والدي ... لو عايز الدنيا ماشية ازاي ورايحه فين وجاية منين؟ صدقني ارجع لتراثنا الموروث عن الأجداد والجدات والآباء والأمهات وانت تعرف رأسك من رجلك، وعدوك من حبيبك، وفين سكة السلامة وفين سكة الندامة وفين سكة اللي يروح ما يرجعش!

يعني على سبيل المثال فيه مثل قديم بيقول: "ميموتش حق ووراه مطالب" ... وأنا افكرت المثل ده وأنا باتابع كل يوم ... لأ كل ساعة ... لأ كل لحظة أخبار الملاحم الأسطورية اللي بيصنعها الشعب الفلسطيني العظيم ويبسط صفحاتها المجيدة بمداد من دماء أبنائه الشهداء ... أطفال ونساء وشيوخ وشباب وفي نفس الوقت باتابع بفرح وشماتة ردود أفعال العالم المتواطئ، وهو غارق في الذهول والاندهاش وسبحانه مغير الأحوال. يعني مثلاً بعد هزيمة الجيوش العربية مجتمعة سنة ١٩٤٨ على يد عصابات الهاجاناه وشتيرن الصهيونية تحولت قضية فلسطين المسلوبة إلى قضية إنسانية وتحول الشعب الفلسطيني إلى مجموعة من اللاجئين الغلبة "يا عيني" الذين يستحقون المساعدة الإنسانية وتحول الزعماء العرب المهزومين سنة ١٩٤٨ إلى أعلام وأبطال على شاكلة الناصر صلاح الدين الأيوبي محرر بيت المقدس في قديم الزمان ... وتاجر الجميع بالقضية الفلسطينية التي أصبحت سبوبة تجلب المصاري والأضواء الإعلامية.

وانزوى صاحب الأرض والجرح في مخيمات متناثرة في بعض الدول العربية الشقيقة ... ونام على الضيم في هذه المخيمات وتطوع بعض الجواسيس والمتقاعسين والمنافقين من الأثقاء العرب بترويج أكذوبة أن الفلسطينيين هم اللذين باعوا أرضهم لليهود وقبضوا الثمن!! فتصور اللص أن الأمر قد انتهى وحان الوقت ليهنأ بسرقة وينعم بنهييته. وبلغت الغفلة بالسفاح المجنون "أرييل شارون" أن يتحدى مشاعر العرب والمسلمين بتدنيس المسجد الأقصى واقتحامه. وحسناً فعل ... فقد اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة على أثر جريمته الحمقاء، هذه الانتفاضة التي لن تتوقف إلا بالانتصار بإذن الله ومشيتته ... تصديقاً لقوله تعالى في كتابه المنزل "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" صدق الله العظيم.

* * *

منتهى التكريم

في إطار مسلسل "تكريم الرموز" الذي تمارسه أجهزة ومؤسسات الدولة -المفلسة- قامت أجهزة الأمن بإلقاء القبض على "شهدي" ابن الشاعر الراحل نجيب سرور ... ووجهت إليه مجموعة اتهامات كان على رأسها -بالطبع- الإساءة لسمعة مصر في الخارج.

ونجيب سرور هو الشاعر والمؤلف والممثل والمخرج المسرحي العظيم الذي ظلم حيًا وميتًا لأسباب ليست معلومة حتى كتابة هذه السطور ... فالبعض يقول أن مشروعه "المسرح الشعبي" هو الذي فتح عليه النار من مافيا المسرح المصري بقاطعيه الخاص والعام.

والبعض يقول بأنه ليس حالة خاصة ... بل هو جزء من كل المبدعين الذين تعرضوا للقمع والاضطهاد من قبل أجهزة الأمن الناصرية بقيادة "صلاح نصر" و"حسن المصيلحي" و"حمزة البسيوني" ... إلى آخر هذه القائمة الملعونة من الجلادين وقتلة الزهور.

على أي حال ورغم ما تعرض له نجيب سرور من اضطهاد في حياته فإنه لم يرحل عن دنيانا دون أن يترك أثرًا يذكر، بل ترك تراثًا سوف يبقى ... هو مجموعة من النصوص المسرحية المستوحاة من الموروث الشعبي المصري منها (ياسين وبهية) و (آه يا ليل يا قمر) و (ومنين أجب ناس) و (الكلمات المتقاطعة) و (الدبان الأزرق) ... إضافة إلى مجموعة من القصائد العامية والفصحى، التي غني منها الشيخ إمام -البحر ببضحك ليه- حلو المراكب ... ثم ديوان شعر بالفصحى بعنوان "برتوكولات حكماء ريش" ثم القصيدة "الجريمة" وهي واحدة من أروع وأخلد قصائد العامية المصرية ... والتي اختار لها الشاعر العظيم لغة الأدب المكشوف المعترف به في كل لغات العالم ما عدا لغتنا الجميلة: التي لم تحفل ولم تحتفل بآخر فرسان هذا الأدب الذي هو شاعر البؤس الخالد (عبد الحميد الديب) الذي عاش في مصر المحروسة، ومات دون أن يدري به أحد مع أنه أشعر وأفصح من كل شعراء عصره بمن فيهم الشاعر الملكي أحمد شوقي الشهير بـ (أمير الشعراء)!!
والقصيدة -الجريمة- هي بكل المقاييس نص مسرحي متكامل رغم أنف السادة الحريصين على سمعة مصر في الخارج، ووجودها على الإنترنت الزاخر بأفلام البورنو والصور الفاضحة ...!!

* * *

شعب "بلط" ...!!

الأخ العقيد الدكتور المهندس المليونير الكوماندان صاحب "سنسبرى" وخلافه عمرو النشترتي خلع يا رجاله!!
واحد حيسألني: خلع بكام يعني؟
أقول له : لأ بسيطة ... خلع بربعميت مليون جنيه بس!
واحنا طبعًا عارفين أن المليون جنيه أصبحت مبلغ تافه، ويمكن أي واحد يتشريق به على رأي المثل.
واحد ثاني حيسألني: وازاي خلع رغم صدور قرار منعه من السفر من مكتب النائب العام وعدد من الدوائر القضائية؟!
أقوله له أن مصدر أمني رفيع المستوى في مطار القاهرة حلف طلاق ثلاثة (شافعي ومالكي وأبو حنيفة) أن المذكور ما هرب ناحية المطار ... و"روحوا بقى شوفوه خلع من أنهى داهية تاخده وتاخذكم" ...!!
ثم بادرت مصلحة الموائى والمناثر بالتنصل من مسئولية هروب المذكور عن طريق البحر! وكان -واجب برضه- سؤال مصلحة المجاري ... إذ ربما يكون طلع من المواسير؟
عمومًا أنا مش كاتب الكلام ده عشان أضايق حد ... لأن ما حدش عاد بيتضايق، فقد تحولنا بحمد الله إلى شعب (بلط) ما يحوقش فيه ولا ضرب الرصاص ... وأصبح الشعار القومي للمرحلة "شد اللحاف ونااااام".

* * *

قاسم حداد

في العام الماضي سافرت إلى البحرين بدعوة كريمة من جمعية نهضة فتاة البحرين ... وهناك التقيت بالفنانة المصرية الكبيرة عطيات عوض الشهيرة بـ عطيات الأبنودي - نسبة إلى زوجها الأول - أو عطيات حسان الطين - نسبة إلى فيلمها التسجيلي الأول الرائع.

وقد أدهشت عطيات الأشقاء البحارنة بعرض مجموعة من أفلامها التسجيلية الجميلة التي كان لي حظ وشرف مشاهدة بعضها، وحين عرفت أن هذه الزيارة لعطيات ليست الأولى لهذا القطر الشقيق سألتها عن قاسم حداد شاعر البحرين الكبير، وهل هو في السجن كعادته ... أم أنه مطلق السراح؟ فلم أحظ منها بجواب شافٍ.

وقاسم حداد شاعر تجسدت فيه روح الأمة فغني آلامها وأحلامها وعشق فقراءها فغناهم ... ودفع الثمن في الوقت الذي غني غيره من الشعراء لسلطين النفط وقبض الثمن!

والبحرين تقع جغرافيًا في منطقة الخليج ... ولكنها سياسيًا ليست كذلك. وإذا كانت الحركة السياسية في أي بلد من بلدان العالم تقاس بنضج الحركة العمالية فيها فإن البحرين في هذا المجال تأتي في مقدمة الدول العربية جميعها! لقد شهد هذا البلد الصغير الجميل أول إضراب عمالي سنة ١٩١٩ متزامنًا مع ثورة سنة ١٩١٩ العظمي في مصر ... التي وصفها المهاتما غاندي بـ "الدرس الأول لكل الشعوب المضطهدة والأوطان المحتلة" ... مؤكدًا أن الحركة الوطنية في القارة الهندية قد تعلمت منها الكثير.!!

وأثناء انتظاري خارج قاعة العرض السينمائي - في ليلة عطيات - أقبل علينا بعض الأشقاء البحارنة للترحيب بنا. وفجأة ابتسمت عطيات لأحدهم بمودة وهي تقول لي:

- عارف مين ده؟

أجبت على الفور:

- قاسم حداد

واندفعنا فتعانقنا طويلاً.. ولم نتكلم ... ولكن العيون التقت وقالت الكثير في لحظات!

وانتهت الزيارة للبحرين ... وعدت إلى القاهرة دون أن التقى ثانية بقاسم حداد، وكأنه مكتوب علينا نحن العشاق دائماً أن نلتقى لكي نفرق وليس العكس!

وفي يوم الأربعاء السادس من مارس سنة ٢٠٠٢ صدرت جريدة الأهرام القاهرية وبها الملحق المجاني (كتاب في جريدة) ويحوي مختارات من شعر قاسم حداد فارس البحرين وشاعرها العظيم الذي يقدم نفسه بمنتهى البساطة هكذا:

أن أختلف مع الجرح على أن أؤلف مع السكين

وفي قصيدة (عشاء المحبة) يقول قاسم حداد:

مائدتي مفتوحة لعباري السبيل

للمصعاليك والزنج والخوارج

والدراويش والصوص

والمتصوفة والقرامطة

والقراصنة

والذين يسألون

ويشكون

وليس لسيوفهم غرف

غير الصدور

كسيف

من الله جاء

إلى الله يذهب

والإبحار في عالم قاسم حداد الشاعر متاهة ممتعة يتمني المبحر فيها ألا يعود إلى الصحراء العربية الممتدة من الجغرافيا

إلى التاريخ ومن القلوب إلى العقول.

* * *

شوف الحلاوة

أكدت تقارير الصندوق الدولي للتنمية الزراعية التابع للأمم المتحدة أن ثمانية وأربعين مليون مصري بالاصلا على
حضرة النبي يعيشون تحت خط الفقر!

يعني بالبلدي كده "تلتين" الشعب المصري مش لاقيين ياكلوا!!

يا سنة سوخة يا جدعان!

طب آمال إيه لزوم ثورة ١٩٥٢ اللي غيرت النظام السياسي في البلد وطردت الملك وألغت الألقاب وقبضت على
الإقطاع وأممت المصانع والشركات والجوامع والكنائس والقهاوي والبارات، ودخلت بينا ثلاث حروب دفع تمنهم الفقير من دمه
وقوت عياله، وفتحت السجون والمعتقلات لأشرف وأنجب وأنبأ أبناء مصر لمجرد أنهم قالوا كلمة حق من باب الخوف على
البلد ... وحلموا -خير اللهم اجعله خير- بالجنة الخضراء على شط بحر الهوي اللي هو نهر النيل العظيم!

خمسین سنة من التضحيات اللي ما يقدرش عليها شعب تاني غير شعب مصر المحروسة ...

خمسین سنة من الخوف والرعب والحلم والأمل والتعب والسهر والجوع والعطش ... وبعدين على رأي المثل (يصوم
الغلبان ويفطر على بصلة)!

ثمانية وأربعين مليون بني آدم بيكملوا عشاهم نوم ... ولسه الدكتور عاطف عبيد بيتكلم بالمليارات وكأنه مش عايش في
مصر!

أنا فاكرك لما "السادات" حب ينقل تبعية مصر من روسيا وأمريكا ... وقال جملته المشهورة (وقفه مع الصديق) ... ولما
قرر ياكل الوزه ويتخلص من دراويش عبد الناصر اللي سماهم مراكز القوى، وقال جملته الأشهر (وقفه مع النفس) واحنا
دلوقتي وبعد مرور نصف قرن من الأوهام محتاجين لوقفه ... بس مش عارفين الوقفة دي حتبقي مع مين؟

مش كده برضه ... ولا أنا مخي لسع؟

كل خمسین سنة وانتو طيبين ...

* * *

إذا الدنيا كورت

العالم في العام الماضي كانت كل دماغه في الكورة ... أو على رأي الصديق الأديب مختار السويدي (إذا الناس كورت) ... فقد سحب مونديال كوريا واليابان سنة ٢٠٠٢ البساط من تحت أقدام كل الأحداث والشخصيات العالمية وتصدر المشهد الإنساني بلا منازع ... فاخترى مثلاً الرئيس المعجباني جورج دبليو بوش خلف قائد الفريق الفرنسي زين الدين زيدان الجزائري الأصل والمشهور عند الفرنسيين باسم "زيزو" الفرنسي!

أما المشتبه به الأول "أسامة بن لادن" ... فقد أكله ريفالدو ساحر برشلونة الأسباني القادم من بلاد السامبا ليرقص وترقص خلفه أوروبا العجوز المتصابية حتى اللهاث.

أما أعجوبة هذا الزمان المدعو أبو عمار الشهير بالرئيس الفلسطيني ... فقد تلاشى تماماً تاركاً مكانه للفتي الذهبي راؤول جونزاليس فاتن الأندلس الجميل وساحر النساء في وطن لوركا وفرانكو والنربادور وثيران المصارعة الشهداء!!
فإذا انعطفنا إلى الجنرال برويز مشرف الذي ابتليت به باكستان الشقية "على سهوه" فقد أخفته عنا رأس باتيستوتا الذهبية ... أما رونالدو طفل البرازيل المعجزة الذي طالت غيبته عن البساط الأخضر المستطيل بفعل عين الحسود فقد حجبت عودته الحميدة كل خطوط المشهد المأساوي الذي سبق بداية المونديال بفترة كئيبة بدأت في ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وإذا كان المونديال إلى جانب المتعة البصرية التي قدمها للعالم لم يفعل أكثر من إعفاء العالم من مشاهدة صورة السفاح الصهيوني أرييل شارون لاستحق أن يكون الحدث الأعظم والأجل في القرن الحادي والعشرين.

* * *

تكي لم تكي لم

تكي لم ... تكي لم ... وسع يا جدع انت وهو ... بيبوو بيبوو، طريق للإسعاف يا مواطن ... بيب بيب بيب
خمس بيب بيب ثمانية وتسعين ...!!

هذا وما زالت مقار لجان امتحانات الثانوية العامة والعياذ بالله تفتح أبوابها ونوافذها على المصاريع تسهلاً لرجال
الإسعاف أثناء قيامهم بعمليات حمل وشن وتفرغ جثث الضحايا من شابات وشباب مصر المحروسة الذين قذف بهم حظهم
العائر وسوء طالعهم إلى زمن الخوجة المملوكي حسين كامل بهاء الدين الذي لا يتوقف عن إطلاق التصريحات الوردية بينما
يقوم زبانيته بذبح واغتيال بناتنا وأبنائنا داخل غرف الإعدام الشهيرة بلجان الامتحانات!!

ومنذ عشر سنوات تقريباً وهذه المذبحة البشعة تحدث بحذافيرها ... وفي كل عام يعتذر الخوجة المملوكي عما بدر من
رجاله تجاه أبنائنا وبناتنا ... ويعد بتلافي هذا الخطأ في العام القادم، ونحن نصدق لأننا مغفلون بالسليقة ... وعلى رأي
المثل "قالوا يا فرعون إيه فرعنك؟ قال مالفيتش حد يردني"

ويأتي العام التالي ... فنكشف أن زبانية الخوجة المملوكي حسين كامل بهاء الدين قد استحدثوا أساليب وطرق جديدة
لسرعة ذبح الشباب أو تعذيبهم على أهون الفروض ...

وعام يجر عام ... ولجنة تجيب لجنة ... ويبقى الحال على ما هو عليه، وعلى المتضرر أن يخطب دماغه في الحيط أو
يشرب من البحر ...

والسؤال الآن موجه للدكتور حسين كامل بهاء الدين الخوجة المملوكي: إنت تبع مين بالضبط؟؟!!

* * *

تظ فيهم ...

على غير العادة يكثف التلفزيون المصري احتفالاته بذكرى المولد النبوي الشريف في العامين الأخيرين ... بما معناه "ظط في إدارة الرئيس بوش"، الذي يقوم حرباً ضد الإسلام والمسلمين ... وأيضاً "ظط في السفاح المجنون أرييل شارون" الذي يصف المسلمين بالخنازير ويتعهد بالقضاء عليهم وتخليص العالم من شرورهم ورائحتهم النتنة!!

وعن نفسي ... أنا بصراحة ممكن دماغي يضرب في حركة نص كم زي دي ... ويبقى ذنبي في رقبة التلفزيون المصري ...!! ولذلك بقالي أسبوع ما بنامش وسهران أقول يا ترى يا هل ترى ... ويشطح بي الخيال وأتصور أن التلفزيون المصري قرر إعلان الحرب على أمريكا وإسرائيل بعدما فاض بيه ونفذ صبره، وزى ما بيقول الإخوة النحاة بلغ السيل الزبى ... وأرجع ثاني وأقول "طب قتر ياد إن احنا أعلننا الحرب على أمريكا واحتليناها ... حناكل منين" ...؟؟ ما هي مسئولية برضه!!

وارجع ثاني واقول في عقل بالي:"مش معقول ياد إن قيادات التلفزيون العاقلة الرزينة يبلغ بيها الجنان أنها تعلن الحرب على أمريكا وإسرائيل! طب؟ أمل إيه اللي أنا شافه ده؟

وهل لو أعلننا الحرب على أمريكا وإسرائيل يقدر التلفزيون يذيع ماتشات الكورة في مصر وأوروبا؟
وقدر إنه ما قدرش ... هل هانتخرج عليها في"الإيه آر تي" الشهير براديو وتليفزيون العرب ... ولا هوّ راخر حيشش
معانا الحرب؟

وهل قناة الجزيرة حلت مع العرب ولا مع أمريكا؟
شفتوا اللخطة اللي كلت دماغي؟

* * *

أستنكف أبصق عليك ...!!

على رأي عمنا هيرودوت الذي وصف مصرنا المحروسة بالشمعة المستقرة في قاع النيل وكلما أظلم العالم تطفو على السطح.

اللي كان يشوف ويسمع الخواجه الدموي المتواطئ جورج بوش الثاني في بداية الأزمة ما يشوفوش دلوقتي!! كلنا فاكرين في بداية اجتياح جيش الصهيونية للأراضي الفلسطينية، وكان سعادته في عزبته ببستج ولابس الكاجوال ورافض يسمع أو يتكلم في موضوع المذابح النازية المنصوبة لأطفال ونساء وشيوخ الشعب الفلسطيني الأعزل ... وكان كل همه أنه يتفنن في إظهار الشماتة مقرونة بالتهديدات الإجرامية للشعب العراقي بأن الدور عليه ... ولا يمكن نسيان وجهه القبيح وابتسامته الصفراء وهو يقول لشارون: هذا يكفي ...!!

والغريب في الأمر أن أحداً في العالم لم ينبس ببنت شفه ... كلهم صمتوا وكلهم تواطؤوا على أساس أن السفاح المحترف مجرم الحرب أرييل شارون سوف يجهز على الشعب الفلسطيني في ساعات ويخلص العالم الحر من هذا "الزنناز" ... وفعل جيش الاحتلال الصهيوني في أهلنا بالمخيمات ما لم يفعله أكبر مجرمي التاريخ. وانفجر الشارع العربي في مظاهرات الغضب العارم وحين تأكد عدم جدوى التفكير في السلاطين والملوك والرؤساء العرب بعد أن فقدوا مبررات وجودهم على العروش التي تجرى من تحتها الأنهار أخذت مجموعة من بنات فلسطين المبادرة وتولت الرد على شارون وبوش وبلير وباقي هذه الشرذمة من مصاصي الدماء وقتلة الأطفال والزهور ... وتحولت زهرات البنفسج الفلسطيني إلى قنابل موقوتة أوقعت القتل والرعب في الصهاينة المغتصبين. وبدأ بوش الثاني يتحدث عن البعض الذي يعمل على إفشال مهمة السلام التي تضطلع بها إدارة الرئيس الأمريكي، وغيّر السفاح الناشئ توني بلير خطابه السياسي وبدأ يتحدث عن دولة فلسطينية إلى جانب الدولة اليهودية ... ثم توالى ارتفاع الأصوات في صحافة العالم الحر عن جرائم النازي التي ارتكبتها مجرم الحرب شارون ضد أطفال وبنات المخيمات الفلسطينية ... وسعى كولن باول للقاء ياسر عرفات بعد أن تمنع كثيراً وتدلل وتعالى على الجنس العربي، وهذه هي اللغة التي فهمها العالم الحر.. لغة الزهرات المتفجرات.

أما أنت أيها العالم المتواطئ ... فأنا أستنكف أن أبصق عليك.!

إنت فين ...؟؟

- دورت عليك في اعتصام نقابة المحامين ما جتيش ليه؟
- وآجي ليه؟
- تيجي ليه ازاي ... هو أنا برضه اللي حاقولك؟ دحنا اتعلمنا منك المواقف دي.
- وياريتك بقى تتعلم مني أن المواقف دي بقت موضة قديمة خلاص
- يا اه ... دانت اتغيرت بقى
- فعلاً اتغيرت ... وكلنا لازم نتغير
- كلنا نقصد مين؟
- أقصد كل الفصائل الوطنية في مصر المحروسة
- وعابزهم يتغيروا بمناسبة إيه إن شاء الله؟
- بمناسبة إن العالم كله اتغير
- يعني نقبل باللي بيحصل في فلسطين ده ... وكده نبقي اتغيرنا؟
- أنا ماقلتش كده
- ما هو الواحد يستنتج كده من كلامك
- كلامي واضح ومش طالب استنتاج ولا تأويل
- بس أنا مش فاهم
- دي مشكلتك ... ولو ما اتغيرتش عمرك ما حتفهم
- طب فهمني يا أستاذ أبو العريف
- احنا ليه مصممين على أن تسعة وتسعين في المية من أوراق اللعبة في إيد أمريكا، مع أن الرئيس الأمريكي كان في منتهي الوضوح وهو بيقول عن السفاح شارون أنه رجل سلام؟ ليه مش عابزين نفهم أن أمريكا هي العدو الأول والأكبر للعرب والمسلمين ... إذا كانت أمريكا نفسها بتعلن ده على الملأ وبدون لف ولا دوران.
- طب واحنا نعمل إيه إذا كانت الأنظمة العربية مصلحتها في طاعة أمريكا وعدم إغضابها؟
- الحمد لله أديك قلتها بلسانك ... آمال بقى سيادتكم رايح تعتصم في نقابة المحامين وتضرب عن الطعام عشان تضغط على مين وفي سبيل إيه؟
- المقصود من الاعتصام ده هو إخراج الأنظمة العربية
- حنفتريز إنها أخرجت وبعدين؟
- يعني على أقل تقدير يطردوا السفير الإسرائيلي ...!!

* * *

أخبار طازة ...

تتقل مراسلنا المحمول في أرجاء وطننا العربي السعيد بحثًا عن الحقيقة المرة ... ولكن هيهات، وبعد أن نال منه التعب عاد مكفهر الوجه سقيم الوجدان - على رأي المرحوم مصطفى كامل الذي لو لم يولد مصريًا لتمني أن يكون مصريًا. وأثناء عودة المحمول عن طريق نفق الشهيد أحمد حمدي، سقط في كمين إدارة مكافحة المخدرات فرع الإسماعيلية ... وبعد عملية تفتيش مرهقة ومهينة في جميع مداخل ومخارج جسمه بحثًا عن البانجو عثر معه على شريط الأخبار التالية:

** في مبادرة ثورية ... اتصلت بعض عناصر المعارضة العراقية بالخارج بالمخابرات المركزية الأمريكية ليقدموا لها الدليل على تهريب كميات من الأسلحة الحديثة من بعض دول أوروبا الشرقية عبر الأراضي السورية إلى العراق، استعدادًا لمواجهة الهجوم الأمريكي المحتمل حدوثه على الشعب العراقي قريبًا ... هذا وقد اتني مسئولو المخابرات المركزية على هذه العناصر ووصفهم بالمواطنين الشرفاء ... ووعدوهم خيرًا بعد التخلص من نظام صدام حسين بإذن واحد أحد.

** قرر العقيد معمر القذافي إعلان انسحابه من جامعة الدول العربية احتجاجًا على قبول المرحوم مؤتمر القمة العربي الأخير في بيروت للمبادرة السعودية التي تقدم بها الأمير عبد الله ولي عهد المملكة ... علمًا بأن الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى كانت قد تقدمت بنفس هذه المبادرة في مؤتمر قمة سابق. فاشمعني يعني ... وبناء عليه باي باي جامعة الدول العربية. وعلى رأي المثل "ضربوا الأعور على عينه قال خسارانه خسارانه".

باي باي قذافي ... باي باي عليكم ورحمة الله وبركاته.

** وافقت السلطة الفلسطينية على المبادرة الأمريكية بتسليم قتلة السفاح وزير السياحة الصهيوني في مقابل فك الحصار عن الرئيس عرفات ... علمًا بأن الرئيس عرفات في الحصار زيه في فك الحصار "!!؟؟" وقد وجه أحد عناصر الكمين سؤالاً لمراسلنا المحمول هذا نصه:

- تفنكر لو فكو الحصار عن الرئيس عرفات حيعمل إيه يعني؟

فأجاب المراسل:

- والله يا باشا أنا ما سألتوش ... لكن عمومًا ربنا بحق جاه المصطفى ينصر الإسلام على الفكرة

هذا ما زال مراسلنا رهن الحبس لاستكمال التحقيق!!

تحقيق في إيه ... الله أعلم.

* * *

باكستان ¼ واللى هايجراله

يا عيني يا ولداه على الشعب الباكستاني واللى جرى له!
قعدنا نقر عليهم ونقول عندهم كنايل ذرية ... ونقول الدولة الإسلامية العظمى ... ونتغزل في الديمقراطية اللي مغرقاهم
لدرجة وصول الست بناظير على بوتو إلى كرسي رئاسة الوزراء عن طريق الانتخابات التشريعية الحرة.
وأحياناً كان الغزل يقلب بحقد لما نفتكر اللي كان عندنا قبل اثنين وخمسين ... ونقارن بينه وبين الهنا اللي مغرق
باكستان، وكانت المقارنة دائماً تنتهي لصالح مصر قبل اثنين وخمسين ... فنفضل نعص بنان الندم ونقول بس آه لو ماكنش وآه
لو كان ... وبعد اخذ ورد وياترى وياهلترى نقول في نفس واحد:

"جتنا نيلة في حظنا الهباب"

ويقوم كل منهم لحال سبيله وهو بيقول في عقل باله:
"لو لم أولد مصرياً لوددت لن أكون باكستانياً" ... على أساس أن كل البرابرة محمدات ... وكل المسلمين إخوان ...
لكن على رأى المتنبى:

تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

إذ وثب على كرسي السلطة الجنرال الحاج محمد برويز ... بحجة الانقاذ من الحكم الفاسد الذي دمر باكستان الوطن
والموطن. شويتين وراح موزب استقهام!
وطبعاً احنا عارفين يعني إيه استقهام ...!! وقال سيادته بالفم المليان: والله إذا كان الشعب عايزني لمدة خمس سنوات فأنا
ح أقعد خمس سنوات وأمرى لله ...

ويا عيني يا ولداه على الشعب الباكستاني الشقيق واللى حي جرى له.

تهمة ¼ نكتة

قناة الجزيرة متهمة من حكومة البحرين بأنها قناة صهيونية ... والسبب المعلن أن كاميرا قناة الجزيرة قامت بنقل مظاهرات الغضب الشعبية التي اجتاحت البحرين احتجاجاً على المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل والتواطؤ الأمريكي مع السفاح أرييل شارون قاتل الأطفال والزهور.

ولو كانت قناة الجزيرة صهيونية كما يتهمها البعض ... لكان أولى بها أن تصمت تجاه أي رد فعل شعبي غاضب في شتى أرجاء الوطن العرب، ماذا وإلا إذا كان القصد من هذا الاتهام هو إصاق تهمة الديمقراطية بالكيان الصهيوني العنصري ... وهذا غير مستبعد في هذا المناخ الضبابي الملبد الذي يلف وطننا السعيد من أقصاه إلى أقصاه ...!!

هناك احتمال آخر مفاده أن حكومة البحرين السعيدة مازالت تعيش مناخ توزيع الاتهامات على كل من يختلف معنا في الرأي ... ذلك المناخ الذي أشاعه حكم الفرد وتسلط الأجهزة الأمنية الذي أدى بنا إلى كارثة قومية لا يجدى معها سوى الضحك الناتج عن شر البلية كما يقول المثل العربي القديم ... وهو يذكرني بالنكتة القديمة:

- مالك يا عبده؟
- مالي على الله
- أمال مقطع روحك ليه من البكا؟
- مش جمال عبد الناصر مات
- جمال عبد الناصر مين ؟
- رئيس الجمهورية يا جدع
- جمهورية إيه؟
- جمهورية إيه ... بتقول جمهورية إيه!!
- أيوه جمهورية إيه؟
- يا بني همّا لمّا طردوا فاروق عملوها جمهورية
- فاروق مين؟
- فاروق بن فؤاد
- يا حلاوة هوّ فؤاد خلف؟
- بذمة النبي مش النكتة دي ... زي التهمة دي ...!!؟

مجرد سؤال

لم يشأ المايسترو صالح سليم أن يرحل عن دنيانا دون أن يأخذ معه أعز ما يملك الفنان وهو حب الناس. لقد كانت جنازة المواطن المصري صالح محمد سليم رئيس النادي الأهلي للرياضة البدنية استفتاءً حقيقياً حول شعبية هذه الأسطورة المصرية التي صنعتها الجماهير العاشقة لفن وعظمة.

هذا اللاعب الفريد الذي حوّل البطل الرياضي إلى بطل قومي وشخصية عامة لا تقل إن لم تزد أهمية عن رئيس الوزراء على أقل تقدير. لقد زلزلني بشدة هدير المشيعين "لا إله إلا الله صالح سليم حبيب الله" ... وكانت المرحومة أمي تقول "اللي يحبه ربه يحبب فيه خلقه" ... الله يرحمك يا أمي ...!!

نعم رحل صالح سليم بعد حياة حافلة بالمجد والعطاء، وهذه نهاية كل كائن حي ... كل نفس ذائقة الموت، ولكن النموذج الذي قدمه هذا الراحل سيظل درساً للأجيال القادمة ... وإجابة شديدة الوضوح عن السؤال الدائم الذي يقول: ما معني أن تعطي بلا مقابل وما جدوي هذا العطاء؟؟

ولقد أسعدني صوت العجوز المتحمس "حسام حسن" ... وهو يخرج عن الإجماع مقللاً من شأن الفقيد الراحل ومعطياً نفسه الحجم الأكبر والشأن الأعظم من صالح سليم ...!! ولم يكن مصدر سعادتي هو موافقتي على إدعاءات العميد حسام حسن، ولكن خروج حسام حسن الشجاع على الإجماع أعطى الاستفتاء قيمة ومصادقية تفقدها كل استفتاءاتنا العربية.

سلام على المايسترو في مثواه الأخير ... وكل التمنيات لحسام حسن بطول البقاء والعطاء ... وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

آخر الكلام

بكره نقعد على الحيطه
ونسلم الزيطه

"مثل شعبي"

ومن نكد الدنيا على
الحر أن يرى عدوًا له
ما من صداقته بد

"أبو الطيب المتنبى"

اللهم افضحنا ولا تسترنا
حتى يتبين الخبيث
من الطيب

"أبو اليزيد البسطامي"

أحس مسئًى وإبات
مهني

"فأرجعان وشريف"

ولا كباك اللى قتلني

الحجر الداير
لابد من لطفه

"مثل شعبي"

المجتمع زي الرصيف
وسخ وعايز يتكنس
فيه ناس بتعرق على الرغبة
وناس بتعرق من التمس

"الشاعر"فؤاد قاعود"

يا بلدنا يا عجيبة
فيكي حاجة محيراني
تزرع القمح
بصعوبة

"شريف المنياوي"

يطلع القرع في ثواني

شيبنتى يا زمن
وأنا ما استحق الشيب
وخذت مني الحبايب
ولا اختشيت العيب

"مطلع موال شعبي"

ولا خلقة ع الكوم

إلا أما شافت لها يوم "مثل شعبي"

يكاد المريب يقول
خدوني

"حكمة عربية"

إيش تعمل الماشطة
في الوش العكر

"مثل شعبي"

البضاعة الباييرة تقول
نيني نيني

لما يجي الخايب

يشريني

"المرحومة أمي ... والمقصود
بالخايب هو شخصي الضعيف"

كان أول وله آخر
والعبرة بالخواتيم

"سنة الحياة"

تعاشر يا ابن آدم تعاشر
مسيرك يا ابن آدم تفارق

"مثل شعبي"

يا مصري وانت اللي هاممني

من دون الكل

هزيل ويحبسك الجاهل

عيان بالسل

من دي الكيوف اللي تصبر

على كتر الذل

ونمت والعالم فايق

قوم بص وطل

شوف الشعوب واتغص ودوب

وارجع إنسان

"بيرم التونسي من قصيدة الشرق"

رق الزجاج وراقت الخمر

وتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح

وكأنما قدح ولا خمر

"من الشعر الصوفي"

تعالم يا طبابا شوفم
نوح العليل وابكاه
راجد صباية وحابس
سمعته وابكاه
جال الطبيب يا عليل
مالكش عيش ع الدنيا
واللي ما ييكى علىّ
وأنا حي ع الدنيا
ساعة الممات
يوفر دمعته وابكاه
"من موال قديم مصري"

غابت اطّبع فيك
والطبع فيك غالب
وديل الكلب ما ينعدل
ولو علقوا فيه قالب
"المرحومة أمي"

من خرج من داره
انقل مقداره
"مثل شعبي"

أدعى على ولدي
واكره اللي يقول آمين
من داداك داديه
واجعل عيالك عبيده
ومن عاداك عاديه
روحك ... ما هياش في إيده
"أم مصرية"
"أحمد بن عروس"

بره وجوه فرشت لك
وانت مايل وإيه بعدلك
"أم زينب مراتي"

وحق من خلقك ونشاك
وصورك ستة في تسعة
"مطلع قصيدة لسه هاكتبها"

قليل الأصل
عمّا فيا فصل

"واحد أهبل زي حالاتي"

"مثل شعبي"

جنني

المخزوق يشتم السلطان

إن كنت يا بن العرب

راجل فقير وضعيف

فوت الجواز للغني

واقعد وحيد ... وشريف

دي العفة غالية ولكن

تتشري برغيف

والفقر يرمي العفيف

في أوسخ الأوحال

"بيرم التونسي من قصيدة: الفقر"

لو غيتك شهرتك

اعمل لها: طبال

"قواد قاعد"

لو كان الفقر رجلاً لقتلته

"علي بن ابي طالب"

إذا جاع أحد المسلمين ...

"أبو زر الغفاري"

فلا مال لأحد

السلعة البائرة تقول نبي نبي

لما يجي الخايب يشتريني

"مثل شعبي"

ما حد خالي من الهم

حتى الحصار في الأراضي

لا له مصارين ولا دم

ولا هو من الهم فاضي

"أحمد بن عروس"

من فعل الأيام

هجت السباع م الغاب

وحطوا واطي

لقليل المعرفة ... والغاب (الغبي) "مطلع موال شعبي"

ومن عملهم تجارته

يا خسارته

"الله يرحمك يا أمي"

ما تستكترش الرفس

ع البغل النجس "مثل شعبي"

الإيد اللي ما قدرتش على قطعها
بوسها ... "مثل شعبي"

الحجر الداير ...
لابد عن لطفه "مثل شعبي"

ثقل قاللي صفني
قلت العفو يا جبل الجبوشي "من الشعر القديم"
لو الأسامي بتتشرا
كان الفقير سمى ابنه خرا "مثل شعبي مصري"

اطلبوا الخير من بطون شبعث ثم
جاعت
فإن الخير باق فيها
ولا تطلبوا الخير من بطون جاعت ثم شبعث
فإن الشح باق فيها "الإمام علي بن أبي طالب"

القانون ينص ... يا ربع ...
يا خمسينه "خليفة خلف الله خلف خلاف
المحامي"

وكم ذا بمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا "أبو الطيب المتنبي"

يحي الثبات على ... المبلغ "صحفي أرزقي من إياهم"

مكتوب على باب الجنة:
أنت حرام على البخيل والديوث "حديث شريف"
من قبل ما أكتب
أنا عارف القول ضائع
والأجر بالتأكيد
ذاهب حسب الشايع
والشتم هايجيني مسووجر

من ولد صايح
مهما انكويت بالنار والزيت
برضك فنان
"بيرم التونسي"

جاي منين يا غراب
قال له جاي من بلد القشطه
كان بان على منقارك
"مثل شعبي"

اللى يصعب عليك ... يفرّك !!...!!
يقول لك الطبيب دواك عندي
إذا ما جس كفك والذراعا
ولو عرف الطبيب دواء داء
يرد الموت ما قاسى النزاعا
"عنتره بن شداد"

اللى إيدك مش في قفصه
ضربة تقطع نفسه
واللى إيدك مش في مقطفه
عفريت يلهفه
"أمي عليها السلام"

إن الدراهم في الأماكن كلها
تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة
وهى السلاح لمن أراد قتالا
"فيلسون من عصر العولمة"

* * *